الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي
العقيد أكلي محند اولحاج
البويرة
معهد اللغات و الآداب
قسم اللغة العربية و آدابها

الفضاء في رواية أوجاع الخريف
لمصطفى ولد يوسف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس
في اللغة العربية و الأدب العربي

إعداد الطالبتين:
- رشيدة عليوات
- سومية فرحات

إشراف الأستاذ :
الدكتور أحمد حيدوش

السنة الجامعية2012/2011

مقدمة:

يتميز الأدب الجزائري بغزارة انتاجه، كما يتميز بكثرة أدبائه أمثال الطاهر وطار، أحلام مستغانمي ، ابن هدوقة، عبد الله الشريط و غيرهم من الذين أسهموا في ازدهار الأدب الجزائري و تطوره، و من الإنتاجات الادبية التي لفتت انتباهنا رواية اوجاع الخرف للكاتب و الأستاذ مصطفى ولد يوسف، و مما دفعنا لاعتبار هذه الرواية هو الفضول و حب الغكتشاف و العنوان كذلك، فالخريف يدل على النهاية، نذير الموت و الحزن، أما الأوجاع فهي المآسي و الآلام.

نعني من خلال هذه الرواية بدراسة الفضاء بوصفه عاملا سرديا و دلاليا تتجسد من خلاله القيم و تتضح بواسطته هرمية العلاقات و نقاط التميز، و إن تركيزنا على الفضاء هو تركيز على النص بكامله، بالنظر إلى علاقته المتداخلة بالحدث و الشخصية و الزمن و العوامل السردية الاخرى، و من خلال هذا سمينا بحثنا هذا بالفضاء في رواية اوجاع الخريف.

اعتمدنا في بحثنا على جانبين جانب نظري و آخر تطبيقي، فالجانب النظري جاء على شكل تمهيد تعرضنا فيه إلى تاطير المصطلح و ذلك من خلال مفهومه في المعاجم العربية و مفهوم المكان و الفضاء و العلاقة بينهما بالإضافة إلى أنواع الفضاءالروائي و وظائف الفضاء الروائي و نجد الوظيفة التزيينية، الوظيفية ، الوظيفة السردية و الوظيفة الإيهامية و الوظيفة الدلالية،أما الجانب التطبيقي أو الدراسة التطبيقية فقد جاءت عبر ثلاث فصول حددنا من خلالها العلامات الفضائية البارزة في المدونة الروائية ، و في الفصل الأول تطرقنا فيه إلى فضاء المجال من خلال فضاء القرية و المدينة، ثم فضاء القرية و المدينة قبل الإستقلال و ما عاناه الشعب الجزائري أثناء العقبة الإستعمارية من استغلال و جهل و سيطرة على حريته و أرضه،و ما بعد الإستقلالو الفرحة التي عمت الشارع الجزائري الذي ضحى بمليون و نصف مليون شهيد لاسترجاع حريته و سيادته و كرامته ، و تعرضنا في الفصل الثاني إلى فضاء الجسد و تطرقنا فيه إلى الجسد التاريخ من خلال الوضع النفسي الذي آل إليه شخصية بطل الرواية،ثم الجسد و المجتمع و ذلك عبر علاقة بطل الرواية و تحركاته مع الآخرين، ثم وصف الجسد و فيه قمنا بوصف الجسد المؤنث (المرأة)، و الجسد الشبيه المختلف (الرجل)، و بعد ذلك لغة الوصف التي تميزت بالسمة الشعرية، أما في الفصل الثالث فقد قمنا باستخراج الأنماط الفضائية المهيمنة في المدونة الروائية و تجلى ذلك عبر الفضاء الخاص / الفضاء العام، الفضاء الداخل / الفضاء الخارج، الفضاء الأليف

/ الفضاء الغريب،فضاء الهنا / فضاء الهناك، و اعتمدنا هذه الفصول بغية التماس سردية الفضاء و معاينة قدرته على تحديد السرد.

و يكتمل بحثنا هذا بخاتمة بمثابة خلاصة للنتائج التي انتهت إليها دراستنا للفضاء.

و اجهتنا بعض الصعوبات و نحن بصدد انجاز هذا البحث، و ذلك لعدم توفر المكتبة على المراجع الضرورية خصوصا الكتب المترجمة، و كذا قلة الدارسين لموضوع الفضاء ،الذي مازال يلفه الغموض.

نتقدم بالشكر و التقدير إلى دكتورنا المحترم أحمد حيدوش الذي قبل الإشراف على مذكرتنا هذه و الذي كان لنا سندا من بداية العمل إلى نهايته، من خلال توجيهاته و نصائحه، و كذا كل الأصدقاء الذين ساهموا و لو بملاحظة أو فكرة أو كلمة طيبة ساعدتنا في انجاز هذا البحث.

يفرز الفضاء العام لمدونتنا الروائية علامتين فضائيتين هما المجال و الجسد، يتواتر حضور هاتين الإشارتين بدرجة تتفاوت من متن إلى آخر مانحا بذلك دلالات متعددة.

الفصل الأول: فضاء المجال:

1- فضاء المدينة و القرية: تتوزع احداث مدونتنا الروائية بين فضاء القرية و المدينة، فالمسار السردي لرواية أوجاع الخريف يتلخص من خلال قرية آث سليمان فهي قرية بسيطة معزولة و منطوية على نفسها، و المدينة " الجزائر العاصمة " المتحضرة و التي تتمتع بمناصب سياسية و اجتماعية و ثقافية مهنية، هناك إشارة إلى المدينة الغربية في الرواية و ما تتمتع به من حضارة و ازدهار و رقي في جميع ميادين الحياة.

- تجدر الإشارة إلى أن فضاء القرية و المدينة في روايتنا يرتبط بمرحلتين تاريخيتين هما،قبل الإستقلال و بعده، فالرواية تعالج قضية الوطن و تناقضاته التاريخية و السياسية و الإجتماعية التي طفحت على السطح بعد الحقبة الإستعمارية .

1-1- القرية: آث سليمان تقع بضواحي تيزي وزو ، لها موقع جميل ، إذ تعتبر بمثابة صورة فنية رسخت في ذاكرة سي الطاهر الهيامي، فقد كان له بيت وسط هذه الطبيعة الساحرة[1]، كما أنه ترعرع في هذه القرية البسيطة، كان معظم سكان القرية غير متعلمين خصوصا أثناء الحقبة الإستعمارية حيث كانت الأوضاع مزرية فيها في تلك المرحلة إذ ساد الجوع و الفقر ،إلى أن جاء الإستقلال و حرر الناس من العبودية التي مارسها المستعمر عليهم ، فازدهرت القرية و أصبحت متفتحة على أجواء الحضارة و الرقي، فأصبح الفلاحين يخدمون أرضهم و الغلة يأخذونها لأنفسهم دون أن يتدخل فيهم أحد.

1-2- المدينة: هي المكان الهادئ و مكان العمل و الرقي و الإنفتاح في نظر سي الطاهر الهيامي لذا لجأ إليها للبحث عن ذاته و تكوين نفسه، كما أنها تعتبر فضاء العمليات العسكرية و ساحة المعارك أثناء الثورة التحريرية و ما بعدها ، حيث فيها انخرط سي الطاهر في صفوف الثوار بفضل الثقة التي كان يحظى بها من طرف الفرنسيين ، في حين أنها أصبحت مكان لا يبعث بالراحة و الطمأنينة و هذا بعد الإستقلال و في هذه الفترة أصبح الشارع الجزائري تعمه الفوضى و الدمار، فأصابته حصرة على ما آل إليه وضع الوطن الحبيب[2].

---

[1] مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف،مصدر سابق،ص:5.

[2] مصدر سابق، ص: 104-110.

2- فضاء المدينة و القرية قبل الإستقلال و بعده:

2-1- فضاء القرية و المدينة قبل الإستقلال:

أ- **القرية:** قرية آث سليمان قرية هادئة و بسيطة منطوية على نفسها لم تكن تدرك أنها تعيش تحت وطأة استعمار غاصب سلب منها قريتها و أرضها، عمدتها "سليمان القهواجي" المعروف بـ:"سي سعيد".

- استعرض سي الطاهر الهيامي قصته في القرية قبل الإستقلال في عدة فضاءات نستعرضها فيمايلي:

1- البيت العائلي لسي الطاهر: بيت بسيط ضيق لا يتسع لتسع أنفس، فعائلته تتكون من ستة بنات، و ثلاثة صبية، و كان هو أوسطهم، والده فلاح بسيط، كان سي الطاهر يقضي معظم وقته خارج البيت دون اي عمل لذلك لم يكن محبوبا عند والده فقد كان يقول له دائما " أنت عالة على هذه العائلة، لو كنت بنتا لكان أفضل[3]".

2- بيت الشيخ حلوان: فلقد تعلم سي الطاهر القراءة و الكتابة على يد هذا الشيخ و كان يذهب إليه ليستفسر عن الأمور الغامضة التي تشغلهنه، ففي إحدى المرات لم يستطع تفسير كلمة استعمار فذهب إلى شيخه، و استفسر عن معناها، فقال له: " الإستعمار يا بني هو أدخل إلى بيتكم دون استئذان و استقر فيه، و أفرض نفسي عليكم بالقوة و أدعي للعالم أنه بيتي شرعا و قانونا فهل ترغب بذلك[4]"، ثم أهاده كتابا ليفهم أكثر معناها، و حين قراءته للكتاب أدرك أن قريته ليست سوى منطقة من بلد اسمه الجزائر و التي احتلته فرنسا في 5 جويلية 1830.

فاكتشفت أنني منتم إلى وطن أكبر من قريتي اسمه الجزائر"[5]

3- التلة: هي تلة عالية كان سي الطاهر و شبان القرية يجلسون فيها يترقبون مرور سلمى بنت القايد سليمان و هي ذاهبة إلى النبع فتطول الأعناق.

---

[3] مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، ص:11.

[4] المصدر نفسه، ص:11.

[5] المصدر نفسه، ص:17.

لترى جمالها،" هاهي تمر و الأعناق تطول لترى وجهها النوراني، فترفع رأسها مستسرقة النظر نحونا فنتخاصم حول النظرة الخاطفة التي ألقت بها في حشمة[6]".

- كما أن سي الطاهر يجلس فيها لقضاء الوقت ، و في إحدى المرات جلس رفقته لحلو و هو شاب مغترب عاد لتوه من فرنسا، و قد أخبره عن الإنفتاح و الحضارة السائدة في ذلك المجتمع، كما أنه سرد له قصة وقعت له في مقهى « La dépêche " ذهب لتناول فنجان من القهوة، فكانا من بين الجالسين فيها شابان جزائريان يتناقشان حول أركان الإسلام و عددها فوقع شجار بينهما و بين لحلو، فطردوا من المقهى فمرت سيدة فرنسية فقالت لهم " لازلتم متخلفين على الرغم من سعينا لتحضيركم باستعماركم، لا تعرفون ابسط قواعد التحضر، تشربون حتى تفقدون توازنكم ما أغباكم! و ما أحقركم![7]"

فقد كانت نظرة الغرب إليهم نظرة احتقار و أنهم متخلفون لا يعرفون شيئا عن الحضارة.

4- أزقة القرية: ذات صباح من الأيام، امتلأت الازقة بالناس يتقدمهم سي سليمان و ضباط من الجيش الفرنسي يحمل قائمة الشباب الذين وردت أسماءهم في التجنيد الغجباري، الذي فرضته السلطات الفرنسية للمشاركة في الحرب العالمية الثانية ضد الالمان.

- بعد عودة سي الطاهر بعد الحرب العالمية الثانية، و نجد أن القرية قد طرأت عليها بعض التغيرات منها أن الجيش الفرنسي قد وصل إلى قريته و بدأ يفرض سلطته و يجول فيها بلا حسيب و رقيب، كما أنه وجد شيخه و معلم حلوان قد مات في شتاء الثلج الاكبر، و ان سلمى قد تزوجت من لحلو.

---

[6] مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف،ص:12.

[7] المصدر نفسه، ص:16.

ب- المدينة: لدينا المدينة الغربية و المدينة الجزائرية.

- المدينة الغربية : رضي سي الطاهر بقدره فجند في الفرقة العشرين بمنطقة " لالزاز" بفرنسا، و في المعسكر اكتشف سي الطاهر أمورا لم يعهدها من قبل، من تمييز فقد كانوا منفصلين عن الفرنسيين " حتى إنهم منعونا من استعمال مراحيضهم، أما في جبهات القتال فنحن في المقدمة، فكثر موتانا و قل موتاهم"[8].

- كان لسي الطاهر صديق في المعسكر يدعى سعيد البجاوي و قد قص عليه قصة المعاهدة بين الداي حسين و الجنرال الفرسي " دورمون " و كيف نزع الهلال و النجمة من فوق صومعة جامع "كشاوة "، و وضع محلها الصليب، " و جهلوا الشعب، و اضطهدوا الأبرياء، باسم نشر الحضارة" « La mission civilisatrice » [9] فقد مارس سياسة الغضطهاد منذ يومه الأول من دخوله إلى الجزائر.

- معسكر سجال: و فيه أصيب السعيد البجاوي برصاصة قاتلة من طرف قناص ألماني أردته قتيلا، أما سي الطاهر فقد ألقي القبض عليه و اخذوه أسيرا، فقد اعتبروه صيدا ليفشي لهم عن أسرار المعسكر الفرنسي،" إنه صيد ثمين، سوف يدلنا على المواقع العسكرية التي يربض فيها الفرنسيين"[10]

- معسكر الألمان: و هناك استجوب الملازم الالماني سي الطاهر، كما أنه عرف أنه جزائري فسأله عن سبب محاربتهم لهم، فالأجدر به و بالشبان الجزائري أن يحاربوا فرنسا و لا ان يحاربوا من أجلها، " ما أغباكم! أتموتون من اجل فرنسا التي اغتصبت أراضيكم و نساءكم" [11]

- المستشفى، وجد سي الطاهر نفسه في المستشفى و ذلك بعد فقد وعيه نتيجة الكسور التي تعرض لها جراء التعذيب، و قد حرّر من الأسر بعدما قامت الفرقة السادسة بتحريره ، هو و مجموعة من السجناء.

---

[8] مصطفى ولد يوسف ، أوجاع الخريف، ص:22.
[9] المصدر نفسه،ص:24.
[10] المصدر نفسه، ص:24.
[11] المصدر نفسه، ص:25.

* **المدينة الجزائرية :** الجزائر العاصمة

عندما ضاق صدر سي الطاهر من القرية فور السفر إلى العاصمة، للبحث عن عمل و أخذ عهدا على نفسه بأن لا يعود إلا و معه ما يكفي من المال ليبني بيتا و يتزوج،" لن أعود إلى القرية إلا و معي ما يكفي من المال لأبني دارا و أتزوج"[12] .

- المحطة: وصل سي الطاهر إلى العاصمة بعد ثلاث ساعات من السفر، فشعر في البداية بالضياع لأنه لم يكن يعرف أي احد في تلك القرية الواسعة ، " فكان إحساسي بالضياع باديا في نظرتي لهذه المدينة المخيفة، فلا أعرف أحدا و بدت لي الأرض رمادية و الجو كئيب...."[13].

المقهى: عند إحساسه بالتعب قصد مقهى شعبي، مكتظ على آخره، و عندما كان يحتسي فنجان القهوة تقدم منه بوعزيز و قد سمع عن بطولاته في معسكر " لالزاز" أثناء الحرب العالمية الثانية، فأخرجه من تلك المقهى لأنها كانت مقهى لصوص و محترفي الجريمة.

المزرعة: مزرعة مترامية الأرجاء صاحبها معمر فرنسي، توسط له بوعزيز لديه فعمل سي الطاهر كمحاسب بما أنه متعلم، و أعطاه غرفة صغيرة غير بعيدة مقر بيته، وأصبح منذ تلك اللحظة وسيطا بين الفلاحين العرب و البربر، و قد شاهد في هذه المزرعة كل مظاهر الظلم و الإسغلال ، و قد كان محبوبا من طرف المعمر فقد كان يقول له دائما " إنك مختلف عنهم "[14]

- و في هذه المزرعة كذلك دق قلب سي الطاهر من جديد عند رؤيته ل "شفيقة" و هي إحدى خادمات كاترين زوجة كلود، و ابنة سي العربي.

---

[12] مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، ص:30.
[13] المصدر نفسه، ص:31.
[14] المصدر نفسه، ص:32.

بيت سي العربي: بيت متواضع بارد، صاحبه رجل عجوز يعيل عائلته المكونة من ثمانية أفراد، ذهب إليه سي الطاهر ليطلب منه يد ابنته " شفيقة"، لكن لخجله عدل عن الأمر و لم يطلبها، فخرج و هو يلوم نفسه،" لماذا لم اطلب يدها، لماذا؟! و لماذا أعدم خجلي شعوري؟!" [15].

- المكان الخال: و فيه يلتقي ببوعزيز الذي كان يحدثه عن مواضيع سياسية خطيرة، وعن العراك السياسي في الحركة الوطنية.

كما أنه أخبره بأنه سيكون هناك انفجار كبير عما قريب، "إنها بداية نهاية العبودية، فاكل مريض... الجوع و العري، و لا بد من وضع حد لذلك فهم منتفخون و أجسادنا هياكل عظمية، سئمنا أكل البصلة بكسرة شعير..."[16].

- نوفمبر الشهر المنتظر : اندلعت الثورة التحريرية ضد الإستعمار الغاصب، فكان في كل بقعة من الجزائر يعلن موت شهيد، ولادة رمز من رموز الحرية و التضحية.

- و في نفس المكان عرض بوعزيز على سي الطاهر الغنخراط في صفوف جبهة التحرير الوطني بما أنه كان موضع ثقة لدى المعمر كلود و الملازم الفرنسي "جيرار" ، كانت مهمته نقل الرسائل و الأموال إلى الإخوان في منطقته (أي قرية آث سليمان)، فوافق سي الطاهر على المهمة التي عرضت عليه و هو يشعر بالفخر و الإعتزاز ، " فامتلأ صدري فحولة و عزة النفس. "[17] .

- الحافلة: كان سي الطاهر كل ثلاثة أشهر على موعد مع حافلة " سي قاسي" قاصدا القرية.

هي حافلة بطيئة ، تتأرجح يمنة و يسارا في الطريق، مكتظو على آخرها، يحمل في حقيبته خمر و ذلك لا يكتشف أمره عند التفتيش، فقد كان يحمل رسائل إلى الثوار، فظن معظم ركاب الحافلة، و سكان القرية بأنه خائن لوطنه، فراح سي الطاهر ينشد أبياتا فرضت نفسها عليه

---

15 مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، ص:36.
16 المصدر نفسه، ص:42.
17 المصدر نفسه، ص:46

يجيء المرح امتدادا

لسنين الجمر الباكية

و يغدو الوطن لحن الحرية

من الشرق إلى الغرب

يزدهر النور بعد عصر الظلمات

و منفى الحبور

يجيء الفرح امتدادا

لوديان الدم الزاكية

فتتطهر تربة وطني

من دنس الغزاة...قساة الحياة[18]

(....)

- أي لا بد لهذه الغيمة السوداء من الإنجلاء و الزوال، و لا بد للشمس أن تشرق من جديد بعد سنوات من الحزن و الشقاء، و لابد لهذا الكفاح أن يتوج بالنصر و الإستقلال.

2-2 فضاء القرية و المدينة بعد الإستقلال:

جاء الإنتصار المنتصر، و مضت سنوات الموت و الدموع ، رحل الظلم الذي ساد الجزائر لأكثر من قرن ، فخرج الجميع رجالا و نساءا، أطفالا و شيوخا إلى الشوارع للإحتفال بالنصر، و قد طرأت على المجالين تغيرات و تطورات كثيرة نلخصها فيمايلي:

أ- القرية: مات القايد سليمان بسكتة قلبية، وعرف جميع سكان القرية بأن سي الطاهر لم يكن خائنا ، و بأنه مجاهد " ... ثم لا تنسوا المجاهد سي الطاهر الهيامي الذي كان همزة وصل بيننا و بين رفاقنا في هذه المنطقة..."[19]، فافتخر به والده " إنه ابني و أعرفه جيدا فهو من صلبي "[20].

- لقد عمل سي الطاهر في هيئة استشارية في البلدة ، فكان ممثلا من طرق قريته باعتباره الفاهم الوحيد في القرية، كما يلقبونه سكانها.

---

18 مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، ص:46.

19 المصدر نفسه، ص:51.

20 المصدر نفسه: ص:52.

- السجن: دخل سي الطاهر السجن بتهمة انه معارض سياسي ، بقي فيه شهرا دون محاكمة، و لم يطلق سراحه حتى تدخل صديقه بوعزيز فخاطبه قائلا: " يا سي الطاهر، الشعب أمس الحاجة إلى قائد موحد لانتشاله من الدمار الذي فيه، و ليس إلى تعددية حزبية، فالثورة نجحت بفضل وحدة الصف، فكثرة الآراء تفسد القضية."[21].

- نلاحظ أن القرية لم تطرأ عليها تغيرات كثيرة، باستثناء لأنها أصبحت أكثر انفتاحا من قبل.

- المدينة: الجزائر العاصمة: عاد سي الطاهر إلى المدينة من جديد و استقر فيها ، نلاحظ أن فضاء المدينة في هذه الحقبة بمرحلتين هما مرحلة التصحيح الثوري الذي أقره هواري بومدين، و مرحلة بن جديد حين توليه الحكم.

- المدينة الجزائرية أثناء التصحيح الثوري: نجد فيها فضاءات متعددة من بينها:

- المصنع أو المؤسسة العمومية التي كان يعمل فيها سي الطاهر كمحاسب و هو مصنع للآجر و القرميد، كان مشهورا بالفساد و الرشوة ، إذ أن مديره " علاوة البتركي" يأتي متى يشاء و يقضي أجازاته في أضخم الفنادق، فهو رجل غير نظيف.

- مكتب سي الطاهر: مكان عمله و في إحدى المرات و هو منهمك في إعداد أجرة العمال راى مجموعة من الناس، يشحنون القرميد في شاحنة، فاستولى عليه و خرج من مكتبه مسرعا " و كالسارق صعدت حائطا خلف المصنع بشق الانفس و سقطت من الجهة المقابلة غاضبا دون ان ينتبه الحارس بوجودي"[22] .

- بيت سي الطاهر : تزوج من زوجة طيبة قاسمته أعباء الحياة، و لسوءحظهما لم يرزقا بأولاد ، فكانت تحدثه دائما عن عيادات تعالج أمراض العقم، و هو يتحجج لها لأنه يئس من هذا الأمر و فقد الأمل في الإنجاب، إلا أنه في أعماقه كان يرغب في إنجاب ولد أو بنت يزيح الصمت الجنائزي الذي ألفناه في البيت و عشش في زواياه"[23].

- مقهى الأنوار: كان يجلس فيه رفقة صديقه عبد الوهاب الذي يعمل معه في نفس المصنع، يتسامران حول أمور المصنع و فساد المدير الذي يسرق الآلات الجديدة للمصنع و يبيعها لحسابه الخاص، كما يتحدثان عن الأمور الشخصية لهم و عن همومهم و أوجاعهم.

---

[21] مصدر سابق: ص:66.
[22] مصطفى ولد يوسف ، أوجاع الخريف، ص:54.
[23] المصدر نفسه: ص:55.

- قاعة الإجتماعات : كانت مقر اجتماع المدير بجميع أقسام الإدارة، و في إحدى الإجتماعات ، عرفهم المدير بالشاب الجديد الذي وظف مؤخرا بقرار من رئيس في مجال تشغيل الكفاءات لتحقيق المردودية.

- المدير في ذلك الإجتماع كان منافقا إذ طمأن الحاضرين و أخبرهم بأن المؤسسة في أحسن أحوالها ، في حين أنها كانت غارقة في الديون: " فالمؤسسة تشتغل بأقل من نصف طاقتها ، و الديون تتراكم عليها، و السوق تئن تحت وطأة العجز، حيث الطلب يفوق العرض بكثير.." [24]

- مكتب الشاب « Le jeune » : حول مكتبه إلى مكتبة لأنه لم يقدم له أي عمل رغم أنه لديه أفكار جيدة تفيد المصنع لو طبقت، و لكن اتهم باللبيرالية، و معاداته للإشتراكية، " ... إنك ليبيرالي، و رؤيتك خطر على الثورة الإشتركية ... العمل حق ... "[25]

- المستشفى: تدهورت الحالة الصحية لسي الطاهر نوعا ما، وضع المستشفى كان متدهورا الطبيب لم يستقبل إلا خمسة أشخاص في اليوم.

الممرضة تصرخ على المرضى لأنهم يزاحمون أمام القاعة: " مابكم؟ أتحسبون المستشفى حافلى لنقل المسافؤين؟... " [26]

- سوق الفلاح: التقى سي الطاهر بصديقه عبد الوهاب بعد خروجه من المستشفى إثر تعرضه للضرب من طرف مجموعة من الأشخاص، كما أنه استقال من المصنع، و أسس شركة هو و ابنه.

- قاعة السينما: حضر سي الطاهر و صديقه عبد الوهاب محاضرة لأحد الأحزاب السياسية التي تدعوا إلى الإستمرار في مسيرة التشييد من أجل الإشتركية و الديمقراطية.

---

[24] مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، مصدر سابق، ص:58.
[25] المصدر نفسه، ص: 60.
[26] المصدر نفسه، ص: 70.

المدينة الجزائرية بعد تولي بن جديد الحكم:

جاءت مرحلة جديدة بعد تولي بن جديد الحكم، فشهدت الأوضاع السياسية و الإجتماعية تطورات عديدة ، نلخصها فيما يأتي:

- المصنع : القي القبض على مديره الفاسد " علاوة البتروكي "، و نصب مدير جديد، الشاب سافر إلى فرنسا ليكمل دراسته في جامعة "تولوز" سي الطاهر دخل الستين من عمره و حان الوقت لتقاعده: " دخلت دائرة الستين من عمري فقلت في نفسي، حان وقت ترك المكان للشباب."[27]
- مكتبة الولاية: بعد تقاعده من العمل أحس بالفراغ، فقرر أن يسجل نفسه في مكتبة الولاية، معظم أيام الأسبوع كان يقضيها فيها، يجلس على الجانب الأيمن من قاعة المطالعة، كتبه المفضلة (الرواية، كتب التاريخ،دواوين الشعراء)، و في إحدى الأيام كانت المفاجئة الكبرى إذ التقى بابنة سلمى حبه الضائع "... لم أصدق ما أرى، إنها صورة طبق الأصل ل "سلمى"، أنف دقيق و وجه دائري مشرق، متوسطة القامة،و شعرها الاسود ينسدل على كتفيها..."[28]
- مكتبة عبد الوهاب: هي عبارة عن ورشة أسسها هو و ابنه، عمل لديه سي الطاهر بعد تقاعده كمحاسب ، و يعمل فيها ثلاثة أيام في الاسبوع.
- بيت سي الطاهر: توفيت زوجته بعد صراع طويل مع المرض، و تركته وحيدا، بلا أنيس يؤنسه في بيت ساده الصمت الرهيب.

---

[27] مصدر سابق، ص:84.

[28] المصدر نفسه ، ص:91.

- الشارع الجزائري: لم يعد آمنا بعد أمال الشعب التي آلت إليها فأصبحت و كأنها ساحة معارك " فالحي في فوضى عارمة ... من جهة الشرطة أو بالأحرى شرطة الشغب، و من جهة أخرى شباب يخربون كل شيء..."[29]
- النفق: كان سي الطاهر ضمن الاشخاص الذين دخلوا ذلك النفق المخيف و الذي يبعث برهبة الموت " ... و بدا الموت المجاني يستقطب جماهيره، و كدت أكون من ضحايا الغدر..."[30]
- الصيدلية: قصدها ليشتري الدواء ليشفيه من علله التي تكبدت جسمه "... لاشتري الدواء بسد منافذ جسدي المتهرئ من الداء الذي يتشكل في صدري..."[31]
- المستشفى: أسعف سي الطاهر إليها بعد انفجار سيارة مفخخة قذفته " خرجت من الصيدلية فإذا بدوي انفجار يقذفني على بعد أمتار و دخان كثيف..."[32]، كانت جروحه خفيفة لا تستدعي بقائه في المستشفى.
- نزل الأصدقاء "Hôtel des amis " : ثم عرف بنزل الإستقلال:

و هو نزل بائس آيل للسقوط و في غرفة ضيقة و بائسة، كان سي الطاهر يمكث فيها على سرير رث و لوحة معلقة على جدار أخضر اللون، و من نافذة تلك الغرفة أطل على الشارع المخيف، و هو يتحسس أوجاعه و أوجاع الوطن.

---

[29] المصدر نفسه، ص:97.
[30] المصدر نفسه، ص:108.
[31] المصدر نفسه: ص:108.
[32] المصدر نفسه، ص:108.

الفصل الثاني : فضاء الجسد

يفرز السياق العام لمدونتنا الروائية تيمة رئيسية و مشتركة، تتمثل في موضوع الجسد، إذ يبدو النص مسكن تخيلي له، يتجسد عبره، و يحقق فيه وجوده المتخيل [33] تدخل هذه التيمة في علاقة جدلية مع التاريخ و المجتمع .

1- الجسد و التاريخ :

نعاين جدلية موضوع الجسد و التاريخ من خلال الوضع الجسدي و النفسي التي آلت إليه شخصية "سي الطاهر الهيامي " و الذي خرج من حربه ضد المستعمر بجسد سليم، كما أن نفسيته ارتاحت بعدما عرف أهل القرية و والداه بأنه لم يكن خائنا لوطنه بل مناضلا في صفوف جيش التحري " . . ثم لا تنسوا المجاهد سي الطاهر الهيامي الذي كان همزة وصل بيننا و بين رفقائنا في هذه المنطقة . . . . "[34].

سي الطاهر بعد الاستقلال لم يجري وراء الامتيازات أو بطاقة المجاهد إذ إن صورة الشاب " محند " الذي ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه فرغم التعذيب لم يفشي سر سي الطاهر و فضل الموت على أن يكون خوانا و يفشي إسرار رفقائه " فصورة الشهيد محند التي ترسخت في ذهني كفيلة بأن تجعلني لا اجري وراء الامتيازات التي سوف اجنيها بفضل بطاقة المجاهد، و لا يهمني ماذا يفعل الآخرون ...."[35].

إن تاريخ الجسد يرتبط بتاريخ وطن شوهّه بعض قادة الاستقلال الذين حادوا عن مبادئ الثورة، و بتروا مسار التاريخ، فتواجد سي الطاهر في العاصمة (الجزائر) زاد من أوجاعه و آلامه، إذ تزوج من امرأة بسيطة متفهمة قاسمته أعباء الحياة و لسوء حظه لم يرزقه الله بأولاد يؤنسونه في وحدته ." و احكي له عن الوحدة التي أعانيها في البيت لا ولد يملا حياتي بهجة و ضجيجا ..."[36]. كما أنه عمل في مصنع فاسد مديره إنسان جشع لاهتمامه إلا بمصلحته الشخصية، إذ يقول سي الطاهرعنه " يأتي متى يشاء، و يقضي إجازته في أفخم الفنادق بسيارة المؤسسة "[37] .

---

[33] : مسعودة لعريط، الفضاء في الرواية النسائية المغاربية (مصدر سابق) ص 92 .
[34] : مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف ص 51.
[35] : المصدر نفسه ص 53 .
[36] : مصطفى يوسف ، أوجاع الخريف (مصدر سابق) ص 56 .
[37] : المصدر نفسه ص 108 .

و مما زاد من معاناته أعمال الشغب التي طالت الشارع الجزائري من عمليات تفجيرية، انتحارية و غيرها فأصبح الشارع لا يبعث بالأمان و الطمأنينة " دلفنا في الأفق أفواجا، و بدا الموت المجاني يستقطب جماهره، و كدت أكون من ضحايا الغدر ..."[38]

"خرجت من الصيدلية فإذا بدوي انفجار يقذفني على بعد أمتار و دخان كثيف يحجب نشاط ذهني، صيحات هنا و هناك تتعالى إنها سيارة مفخخة...إنها سيارة مفخخة ."[39]

بعد تقاعد سي الطاهر من المصنع وجد في المكتبة الولائية ضالته و أصبحت وسيلة للتخلص من الفراغ القاتل الذي شعر به في البيت " لحضتها أحسست بعودة الأمل ليدب في عروقي..."[40] .

أحب سي الطاهر سلمى ابنة قريته أن سليمان حبا جنونيا و التي لم تكن تعلم شيئا عن شعوره فقد كان بنظرنا يوميا على التلة العالية و هي ذاهبة لجلب الماء من النبع " ...منتظرا مرور سلمى التي تجهل أني متعلق بها ."

إلا أن هذا الحب ما لبث إلى أن تقول إلى مفارقه مربكة ل "سي الطاهر" فعند عودته من الحرب العالية الثانية وجدها قد تزوجت من الشاب المغترب الذي عاد مؤخرا من الغربة من فرنسا و قد تزوج سي سليمان القهواجي والد سلمى إياها لأنه غره بالمال"و قد أغرى والدها بالمال الذي جمعه طوال السنوات التي قضاها في مصانع " رونو " فقبل دون تردد على الرغم من فارق السن بينهما "[41] .انهار سي الطاهر عندما سمع الخبر فلم يصدق بأنها قد تزوجت من غيره وانه قد فقدها إلى الأبد " تملكني شعور غريب و عنيف و أنا في تلتي أراقب سلمى، فجلست في مكاني المعتاد كالأبله، لم اصدق أنها زفت لغيري، أحقا

تزوجت؟ "[42] "فغدت بالنسبة لي سرابا، فالسنوات التي قضيتها في الجبهة لم تمحي صورتها التي بقيت في قلبي ...مرت وخيل إلي أنها رفعت عينيها الواسعتين نحوي و راحت تكلمني بالإشارات و اكلمها بالتأويهات : ماذا افعل، ماذا افعل ؟"[43].

---

[38] المصدر نفسه ص 85 .
[39] المصدر نفسه ص 15 .
[40] المصدر نفسه ص 26 .
[41] المصدر نفسه ص 26 .
[42] المصدر نفسه، ص:26.
[43] المصدر نفسه، ص:11.

وفي نفس الفترة فقد شيخه " حلوان " الذي كان متعلقا به، فقد علمه القراءة و الكتابة و فطنه إلى أن قريته منطقة من بلد اسمه الجزائر و الذي يعيش تحت وطأة استعمار غاصب سلب منه أرضه و حريته، إذ كان شيخه طيبا و لطيفا معه " لم يكن الشيخ حلوان كأتراجي و لم ادري لماذا..."[44].

و بوفاته أصبح سي الطاهر وجعين وجع قلب جريح فقد حبه و عقل فقد منارته " فقدت حبي الأول بزواجها و عقلي بموت شيخي[45].فكرة القرية و كره لحلو فقد اعتبره عدوا له بعد زواجه من سلمى ." و لا أرى أمامي سوى ‹سلمى› و مشاعر الكره تجاه ‹لحلو›..." و هذاما جعله كذلك يترك القرية متجها إلى الجزائر العاصمة لكي ينسى ألامه، و ليطوي صفحة من حياته و يبدأ صفحة أخرى، و لو أن هذا غير معقول فسورة سلمى و ذكراها رافقته طول حياته فلم يستطع أن ينساها يوما .

يبدو الجسد في هذا السياق علامة تحمل دلالات متناقصة و متداخلة فيما بينها .

2- <u>الجسد و المجتمع</u> :

ترتبط قيمة الجسد في رواية أوجاع الخريف بنقطة مركزية تتمثل في المجتمع، فالجسد في هذه الرواية مرتبط بنقاط اجتماعية معينة شكلت هذه النقاط محطات أساسية في تحديد مصدر الشخصية، نجدها فيما يلي:

أ- <u>العائلة</u> :

من خلال الرواية نلاحظ أن سي الطاهر الهيامي بطل الرواية ينتمي الى عائلة ريفية بسيطة جدا، والده فلاح يملك أرضا و بعض الخرفان و الماعز[46]. و بيتا لا يتسع لعائلة من تسعة أنفس ست بنات و ثلاثة صبيان أكبرهم ‹وعلي›و أخوه الذي تزوج مؤخرا كان هو أوسطهم[47] .

أبوه كان قاسيا عليه و على والدته التي لا يهمها شيئ سوى إرضاء عائلتها، و كل ما يريده منه هذا الولد هو أيجاد عملا يكسب منه بعض المال لكي يساعدهم في ضروفهم الصعبة بدلا من التجوال في القرية بلا هدف " كنت دائما خارج البيت أجوب القرية بحثا عن شيئ، و في كل مساء يوبخني

---

[1] المصدر نفسه ص 26 .

[45] المصدر نفسه، ص:40.

[46] المصدر نفسه،ص:11.

[47] المصدر نفسه، ص:11.

أبي ..."[48] ، " ابحث عن عمل كبقية الناس، و لا تبقى كالصنم تنتظر الرزق ياتيك طواعية "[49] ، عكس والدته التي كانت تدافع عنه دوما " لا تجرح الطفل – في نظرها مازلت طفلا – انه متعلم و لو توددت للقياد لكان موظفا في دائرة من الدوائر الحكومية بالبلدة "[50] فقد كانت تفتخر به لأنه كان متعلما .

ب- التلة :

كانت هذه التلة العالية شاهدة على حب سي الطاهر ل ‹سلمى› إذ كان ينتظرها يوميا و هي ذاهبة الى النبع لجلب الماء، و هذه التلة كذلك كان يجلس عليها معظم شباب القرية و منهم ‹لحلو› الشاب المغترب الذي عاد مؤخرا الى القرية، فيحكي ل سي الطاهر عن مغامراته في فرنسا و عن حسنواتها و حضاراتها " و من حين إلى آخر يحكي لي مغامراته الغرامية بفرنسا، و كنت أصدقه كما يصدقه الجميع ..."[51]

ج- المقهى :

التقى سي الطاهر بصديقه ‹عبد الوهاب› الرجل الذي يعمل معه في مصنع الأجر و القرميد " هو أيضا في المصنع، قسم صيانة، و كم من مرة أنقذ المصنع من شبح التعطل و التوقف عن الإنتاج ..."[52] كان كل واحد منهما يحكي للآخر عن همومه و أحزانه، سي الطاهر عن الوحدة التي يعيشها في بيته الذي يسوده الصمت و الهدوء " يحكي لي همومه و احكي له عن الوحدة التي أعانيها في البيت، لا ولد يملا حياتي بهجة و ضجيجا .."

أما عبد الوهاب على عن ثقل المسؤولية فهو أب لتسعة أطفال و كلهم متمدرسون "...يشتكي ثقل المسؤولية في توفير الحاجات الأساسية للأطفال، فعبد الوهاب لا يكف عن الحديث عن أولاده ."[53] "... و ككل دخول مدرسي أسلفه مبلغا يقضي به حاجاته بحكم الصداقة التي تجمعنا ..."[54] كمل يتسامران عن أمور المصنع و المدير الفاسد التي سادت فيه الرشوة و الفساد .

---

[1] ،[2]: المصدر نفسه ص 30

[3]: المصدر نفسه ص 41 .

[4]: المصدر نفسه ص 55 .

[5]: المصدر نفسه ص 55 .

[6]: المصدر نفسه ص 56 .

[54] : المصدر نفسه ص 55 .

" أكيد أن هناك رائحة رشوة أو شيئا ما من هذا القبيل فالرشوة طاعون في اغلب مؤسساتنا ."[55]

د- المكتبة :

فيها يقضي سي الطاهر وقت فراغه بين الكتب التي تنسيه تعب جسمه و همومه " عدت إلى كتابي الذي استحوذ على تركيزي و الإرهاق بدا يتسلل في بدني، يتمدد بطوله عليه، ولكن شهية المطالعة مازالت حية في قلبي ..."[56]

في إحدى الأيام و هو جالس في المكتبة كعادته رأى فتاة تشبه حبه الأول الذي سلب منه و هو ‹سلمى› ابنة القايد سي سليمان القهواجي و بينما أتأهب لتنشيط أعصابي لقراءة متجددة و ممتعة سقط بصري على مدخل القاعة فإذا بفتاة احسبها طالبة تحدق في كل أرجاء القاعة على مقعد شاغر ...لم اصدق ما أرى ...انها صورة طبق الأصل ل ‹سلمى› [57] اتجه نحوها و سألها " احسب انك من منطقة القبائل "[58]. أجابت " أصلي من هذه المنطقة و لكن اسكن بمدينة الجلفة، لمذا تسال عن أصلي "[59] . فاخبرها بأنه يعرف أباها ‹لحلو› و والدتها سلمى ثم أخبرته أن والدتها ‹سلمى› قد توفيت منذ سنة تقريبا نتيجة مرض خبيث. " أحسست بدوار و الغيبوبة تحوم حولي، فاستعنت بكرسي كان بجانبي جلست و الشحوبة غزت وجهي ..."[60]

فرغم زواج ‹سلمى› من شخص آخر و ابتعاد سي الطاهر عن القرية إلا انه لم يستطع يوما ان ينسى ذلك الحب الذي يملك قلبه و روحه، فضلت صورتها راسخة في ذهنه و ذكراها الجميلة رافقته طوال حياته، ثم أخبرته هذه الابنة عن المكيدة التي دبرت لأبيها من طرف آخيه ‹فارج› الذي أراد الاستيلاء على حصته في الميراث." و كل الزوبعة التي أثارها من اجل اغتصاب حصة أبي في الميراث، و المتمثلة في قطعة ارض وعرة كما قالت لي أمي، لا تصلح إلا للرعي ."[61]

---

[55] : المصدر نفسه ص 56 .
[56] : المصدر نفسه ص 88 .
[57] : المصدر نفسه ص 91 .
[58] : المصدر نفسه ص 91 .
[59]: المصدر نفسه ص 92 .
[60] : المصدر نفسه ص 93 .
[61] : المصدر نفسه ص 93 .

فاتهم لحلو بالخيانة لوطنه لأنه كان صهر القايد فترك القرية نهائيا، شعر سي الطاهر بالعطف نحو تلك الفتاة التي لم تستطع حبس دموعها "شعرت بعطف كبير نحوها و ان استمع إليها ... صمتت و دموعها حارة تحفر الأخاديد في وجنتيها الورديتين نهضت بصعوبة مطمئنا إياها، أبوك بريئ و نظيف "[62] .

أما صورة المجتمع الغربي فقد تجسدت من خلال مشاركة سي الطاهر الهيامي في الحرب العالمية الثانية أثناء الحقبة الاستعمارية فهناك ظهر الوجه الحقيقي للمستعمر، فسقطت الأقنعة و هناك أدرك سي الطاهر أن فرنسا ليست سوى مستعمر غاصب سلب منه وطنه الجزائر و قيد حرية شعبه، كما تعرف هناك وفي معسكر "للازال" بفرنسا على أصدقاء مثل ‹دحمان المغربي› و‹ سعيد البجاوي› و هذا الأخير كان شديد الكره للفرنسيين فهذه الحرب لا تعني الجزائريين و الأجدر بهم أن يحاربوا من اجل استعادة مجدهم و استقلالهم " ليتني فرصة سانحة لأهرب من هذا الجحيم، ثم إن هذه الحرب لا تعنينا بتاتا، لا من قريب و لا من بعيد "[63].

"هذه الحرب لا تعنينا نحن الجزائريين، فالذين ماتو من اجل العلم الفرنسي راحو ضحية تخاذلنا في مواجهة الاستعمار"[64] .

هـ - <u>المزرعة</u> :

ترك سي الطاهر البيت العائلي متوجها إلى العاصمة و هناك عمل في مزرعة ساد فيها الظلم و استغلال الإنسان لأخيه الإنسان و في هذه المزرعة بدأت المسيرة الثورية لسي الطاهر، كما أن قلبه خفق من جديد لشفيقة إحدى خادمات كاترين زوجة كلود صاحب المزرعة، ففي كل صباح يراها قادمة من بيتها الى المزرعة ." كل صباح أراها قادمة من بيت ابيها ‹سي العربي› المتعوس ملتفة بلحاف اسود تسرع الخطوة كان وحشا ضروريا يلاحقها تبدو لي نقطة سوداء تتحرك مطأطئة الرأس ..."[65] . و أما جمالها فقد اكتشفه عندما ذهبت إلى غرفته لتأخذ منه أسماء الفلاحين

---

[1]، [2]: المصدر نفسه ص 23 .

[64]، [4]: المصدر نفسه ص 34 .

." ...فأخرجت وجهها من عتمة اللحاف فكان بدرا، و يدها ترتعش لما أعطيتها إياه على عتبة الباب، و من ذلك الحين انشغل بالي بها ..."[66] .

أدرك سي الطاهر الفروق الشاسعة بين الفرنسيين و الجزائريين و ذلك من خلال منازلهم و أكلهم " أمام مائدة مليئة بما لذ و طاب من لحم و فاكهة و نبيذ، راح تفكيري إلى المساكين الذين في أكواخهم يأكلون الكسكسي الجاف، فخجلت من نفسي، و لكن إغراء المائدة كان أقوى، و لابد من تخذير وعيي في تلك اللحظات بالنبيذ ..."[67].

فقد اشتهر سي الطاهر بين الفرنسيين بالسكير مما سهل من أداء مهمته .

3- وصف الجسد :

إن هيمنة موضوع الجسد في مدونتنا الروائية بأبعاده المختلفة التارخية و الاجتماعية و النفسية، تجعلنا نتساءل عن الطريقة التي قدم بها؟ من اجل ذلك تعمد الى تحديد النقاط التي كانت محط تسليط الضوء، لنرى كيف وصف الجسد المؤنث، و الجسد الشبيه المختلف (الرجل) .

أ- المرأة :

يبدو وصف المرأة في رواية أوجاع الخريف، من خلال الصورة التي يقدمها سي الطاهر الهيامي بطل الرواية لشخصية ‹سلمى› المرأة التي شغلت فكره و التي أحبها حتى الجنون "... ذلك الحلم الزئبقي الذي يسكن بقبضتي ..."[68] فاعتبرها المسكن الذي يؤنسه في وحدته " و إن كانت سلمى مسكنا يؤنسني في بلاد ولد فيها الشتاء القارص في ليالي الوحدة و الخوف."[69] ، و كانت موضوع رغبته بالأساس فيشير إلى جمالها الذي لا يستطيع أي شاب من القرية مقاومته و حشمتها النابعة من الأخلاق العالية التي تتصف بها " انف دقيق، و وجه دائري مشرق، متوسطة القامة و شعرها الأسود المتدل على كاتفيها ..."[70] .

" فنتخاطفنا بيننا حول النظرة الخاطفة التي ألقت بها في حشد"[71].

---

[1] المصدر نفسه ص 32 .
[2] المصدر نفسه ص 21 .
[3] المصدر نفسه ص 21 .
[4] المصدر نفسه ص 91 ، 12 .

وصف سي الطاهر كذلك زبيدة المرأة التي كان يروي لها قصة حياته فهي فتاة ريفية تعمل حلاقة لتعيل عائلتها " زبيدة المرأة الريفية، الجميلة، المليحة تقترب من الثلاثين، لا زوج لها يعتني بها ..."[72].

و فريدة سكرتيرة مدير المصنع الذي يعمل فيه سي الطاهر " و قابلتني فريدة السيكرتيرة التي دهنت شفتيها الرقيقتين بأحمر الشفاه ..."[73] .

إن صورة وصف المرأة في الرواية لا تختلف عن صورة المرأة الواردة في الشعر العربي، حيث يتغزل الشعراء عادة بالشعر الطويل الأسود و الوجه الأبيض و الجسد المستدير الأنثوي، يمكنان نرى ذلك في هذه الأبيات للشاعر امرئ القبس يقول :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

ككبر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلّل

تصدّ و تبدي عن أسيل و تتّقي بناظرة من وحش و جرة مطفل

و فرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل [74]

يقدم الراوي في أوجاع الخريف أوصاف مغايرة لجسد المرأة الغربية ‹برجيت› التي صادفها في الميناء " دخلت الدار و كان و جهها مغطى بطبقة من الأصابع و ما أعجبني فيها شعرها الأشقر"[75] و هنا نعاين نموذجا جماليا غربيا .

ب- <u>الجسد الشبيه- المختلف</u> :

جسد الرجل بطل الرواية سي الطاهر الهيامي حيث كان في مرحلة الشباب شابا يافعا في مقتبل العمر يحب الحياة و اللهو لا يحب أن يشغل تفكيره أي هم، فيجول في القرية بلا هدف " ... و هو في القرية يجري كالحصان الجامح حبا في الحياة "[76].

تعلم القراءة و الكتابة على يد الشيخ حلوان الذي كان متعلقا به جدا فقد كان منارته في التفسير، كما انه فطنه إلى أشياء لم يكن يدركها من قبل، و في هذه المرحلة و كذلك شارك في الحرب العالمية

[1،2،3] : المصدر نفسه ص 08 ، 58 .

[74] : الشيخ احمد الشنقيطي، شرح العمليات العشر و أخبار شعرائها – بيروت- دار الأندلس 1983 ،ص 84 .

[75] : المصدر نفسه ص 15 .

[76] : المرجع نفسه ص 05 .

الثانية لأنه أراد أن يكتشف العالم أو أن يعرف ما يجري خارج حدود قريته " و إنما الخروج إلى العالم لأتنفس ألوانا أخرى، و أعيش أحلاما جديدة، حتى لو كانت في الحقيقة كوابيس مفزعة و مزعجة ..."[77] .

حارب ضد المستعمر الفرنسي فكلن ينقل الرسائل من الجزائر العاصمة إلى ثوار منطقته إلى ان جاء الاستقلال، فاستمرت حياته بين العمل و البيت إلى أن تقدم في السن و أصبح شيخا جسده نحيف تكبته جميع الأمراض " ... و هو يتحسس ظهره المقوس بأنامله الرقيقة الرطبة، مقلتاه غارفتان في لوحة معلقة على جدار اخضر اللون، تجاعيده تتسع يوما بعد يوم" [78]. فالقلب لم يعد كما كان و علله كثيرة فالفحص الطبي الذي قام به مؤخرا لا يسر بتاتا و لا مفر من عملية جراحية عاجلة و لكنه لم يبالي بنصيحة الطبيب آخذا بحكمة الشاعر العربي المعري ، حيث يقول :

تعب كلّها الحياة فما أع جب إلا من راغب في ازدياد !"[79]

فسي الطاهر لم يعد الشاب اليافع الذي لا يستطيع الجلوس دون فعل أي شيء، فالزمن جرده من شبابه و من حيويته مما زاد ألامه كذلك الوحدة القاتلة، اذ لم يرزق بولد أو بنت يملئون عليه حياته، و يكسرون الصمت في بيته أو بالأحرى في الغرفة الصغيرة في النزل، فقد كان يخاف دائما من أن يموت وحيدا و تمنى أن يموت كما مات‹ فكتور هيقو› " ما يخفيه ليس الموت، و إنما أن يموت وحيدا، لا يضمه إلى صدره، فقد تمنى أن يموت مثلما مات ‹فيكتور هيقو› الذي شعر بدنو اجله فودع أصدقاءه ثم طلب حفيديه و ضمهما إلى صدره يقبلهما ..."[80] كان ليل سي الطاهر طويلا إذ لا يجد احد يتسامر معه أو ينسيه تعب جسده الضعيف .

الوضع الذي آل إليه الشارع الجزائري زاد من الأم سي الطاهر و أوجاعه لأنه في شبابه و هو رفقة زملائه في الكفاح جاهد و من اجل أن تعيش الجزائر حرة مستقلة، و شعب جزائري حر غير مقيد في أفكاره، لهذا حزن سي الطاهر على هذا الوضع، فقد كان يأمل بعد الاستقلال ان يعيش هو و الشعب الجزائري في هدوء و طمأنينة، يعيدون تشيد ما خرب المستعمر لا التعذيب و قتل

بعضهم البعض من خلال العمليات التفجيرية الانتحارية، وفي هذا المقطع سي الطاهر يصف الحي و الوضع السيئ الذي يسوده " فالحي في فوضة عارمة ....من جهة الشرطة أو بالأحرى شرطة مكافحة الشغب، و من جهة أخرى شباب يخربون كل شئ ..."[81] .

---

[77] : المرجع نفسه ص 21 .
[78] ،[3]: المصدر نفسه ص 05 .
[80] : المصدر نفسه ص 07 .
[81] المصدر نفسه ص 97 .

سي الطاهر عاش الأم الوحدة كذلك بعد فقده لزوجته، " و ما ان حل الخريف بردائه الشاحب انتقلت إلى جوار ربها و أصبحت وحيدا لا رفيق، و لا أنيس يخفف وحشة الدار و بدت . و القرية مقبرة، كل ما يذكرني بالموت "[82] . و لهذه الأسباب قررت ترك القرية و العودة إلى العاصمة، كما انه باع شقته لابن خاله الدكتور الجراح و ذلك لمحاولة نسيان ألام و ما يذكره بهذه الأوجاع " فقررت العودة إلى العاصمة حاملا إليها أوجاعي الجسدية و النفسية ...عبرها أتنفس عبير الحياة ..."[83]

عان سي الطاهر من عدم إنجابه للأولاد فقد كان الموضوع الأساسي الذي يطرحه والده أثناء زياراته إلى قريته، إذ كان يعاير زوجته و ينحتها بالعاقر " ما أحلى الحياة بالأولاد ! و على واع بأمور الدنيا و استمرار اسم العائلة له ستة أبناء...رجال الدار...أما أنت فيكفيك هذه العاقر، و لا ادري لماذا لا تطلقها، و تتزوج من جديد كبقية الخلق ؟! ..."[84]. فقد كان يعتبر زوجة سي الطاهر كالبئر الجاف و عليه ردمه، لأنه لا يصلح لأي شيئ .[85]

لا يحتمل زوجة ابنه إطلاقا على عكسها هي اذ كانت تحترمه و تقدره كثيرا أما والدته فقد كانت تبرر سلوك زوجها وتطمئن ولدها وتصبره فهذا قضاء الله و قدره " الأرزاق بيد الله ولدي فاصبر "[86]، " أبوك طيب و قلبه صف من الضغائن ، يريد فقط مصلحتك، و ما الشوائب المعلقة به مجرد درع يحتمي بها لكي لا يهتم بأنه طيب، فالطيبة في اغلب الأحيان عند فئة من الناس سذاجة، و قلة رجولة خاصة قي زمننا هذا "[87]

4- لغة الوصف :

تميزت لغة الوصف في رواية أوجاع الخريف بالسمة الشعرية، و قد انعكس ذلك على شكل الكتابة، فجاءت العديد من الصدفات في شكل القصيدة النثرية [88] . و يمكن أن نلاحظ ذلك من خلال

---

[82]، [3] المصدر نفسه ص 104 .
[4]، [5] المصدر نفسه ص 94 .
[6]، [7] المصدر نفسه ص 95 .

[88] ،[2]: المصدر نفسه ص 109 .

المقطع الذي يسرد فيه سي الطاهر حالته النفسية و الجسدية، و هو ينحصر على الوضع الذي آل إليه الوطن و هو في الغرفة الضيقة في النزل البائس " أوغلت في الشيخوخة ...تدثّرت بالمعطف لأطرد برودة الغرفة المتثبتة بأوصالي ...أخذت كتابا على سبيل نسيان الآلام التي تلسعني في كل شبر من جسدي ...جسدي كله إمراض مزمنة و الموت يأتي ...إنه يفضل الأجساد المتفحمة الطرية و الممزقة، لأنها شهية، اما أنا فلم اعد كذلك ..."[89]

و في وصف المرأة التي أحبها بجنون و ظلت صورتها راصخة في ذهنه طول حياته و لم يستطع أن ينساها و هي‹ سلمى›. " ...ذلك الحلم الزئبقي الذي يسكن يقظتي..."[90] .

تميز وصف الجسد بالهدوء و الحنين إلى الأيام السالفة " كان لي منزل وسط هذه الطبيعة أيام كنت حالما و يافعا "[91]. " و هو في القرية يجري كالحصان الجامح حبا في الحياة ..."[92]

فقد تميزت بالواقعية أي أنها لغة قريبة من الواقع على العموم، فنجد بعض الملامح الخارجية له " و جسده النحيف يتحمل متاعب الشيخوخة ..."[93]، نشير أيضا إلى أن سي الطاهر لم يذكر اسم زوجته التي اقترن بها في العاصمة ما يحيل إلى نموذج تقليدي في بعض المجتمعات المحافظة حيث أن ذكر الرجل لاسم زوجته يعد جزء من المحترمات ." وصلت إلى البيت مرهقا فوجت زوجتي وقد استبد بها القلق تنتظرني على أحر من الجمر "[94]

نجد بعض الصفات في شكل قصيدة نثرية، و يكمن هذا من خلال الأبيات التي فرضت نفسها على سي الطاهر و هو متجه إلى القرية عندما أوقفتهم فرقة تفتيش كان قائدها النقيب ‹آكل القطط› فكانت رماح الشمس تثقب رؤوس ركاب الحافلة .

يجئ الفرج امتدادا

لوديان الدم الزكية

و صرخ الأطفال الجوع و العري

---

[3]: المصدر نفسه ص 21 .

[4]، [5]: المصدر نفسه ص 05 .

[6] : المصدر نفسه ص 05 .

[94] المصدر نفسه ،ص :54.

فتتطهر تربة وطني

من دنس الغزاة قساة الحياة

بعدما توضأت بالشهادة

و يصبح نهارنا آمنا

وعدنا مرتعا للأمل و الخيول الجامحة

و الموت بلا شهية لم يعد بضاعة

عندما تدفن أسواقه في وطن قادم . قادم .[95]

لم يدرك سي الطاهر بأنه شاعر، فراح ينكش ذهنه ليلد المزيد من الشعر اشفى به جراح اليوم الذي كان عصبيا ،[96] فقد شعر بالاستياء لوضع وطنه و أبناء هذا الوطن الغالي الذي قيد حريته استعمار غاصب، جوع أطفاله و رمل نساءه، ثمة يبعث الأمل في نفسه من جديد لأنه لابد لهذا الاستعمار أن يهزم بفضل الكفاح .

نجد بعض الصفحات على شكل مقاطع حوارية فقد فتح المجال للشخصيات للتحدي فيما بينها و بالتالي إهمالنا بواقعية الأحداث كما ساهم الحوار في فهم عقلية هذه الشخصيات و نوع العلاقة التي تجمع بينها. من مقاطع حور بوعزيز و سي الطاهر عن بدأ تأسيس قيام ثورة ضد المستعمر :

"لا أعرف بذلك

الانفجار الكبير سيكون قريبا .

أي انفجار؟!

خفّض صوتك ، فعيون المحتل في كل مكان .

أجل، أجل فللمحتل عيون في كل مكان و زمان .

إنها نهاية العبودية، فالكل مريض ...الجوع و العري .

و لابد من وضع حد لذلك فهم منتفخون و أجسادنا هياكل عظمية ..."[97]

---

[95] : المصدر نفسه ص 46 .

[96] : المصدر نفسه ص 47 .

[97] المصدر نفسه ص 42 .

إن مهمة المكان هو التنظيم الدرامي للأحداث " إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، و ذلك انه ليس هناك مكان غير متورط في مكان " [98] يعد المكان عنصر من العناصر التي نبني عليها الحكي و تعدد المكان في الرواية يكون حسب الأحداث التي تدور فيها، و حركة الشخصيات داخلها و تنقسم إلى أماكن الإقامة الاختيارية أو الإجبارية و أماكن الانتقال .

أ- أماكن الإقامة الاختيارية:

هي تصوير لمظاهر الحياة الداخلية للأفراد الذين يعيشون تحت سقوفها فالبيت يشكل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة، و باشلار في شعرية المكان يدعو إلى ضرورة الإلمام بجميع أجزائه و الدلالات المرتبطة به لتشكل الصور الكاملة و المتكاملة لذلك الفضاء و تعطيه انسجامه و أسباب إنبنائه"، فهو يقول " فمن الخطأ مثلا النّظر إلى البيت كركام من الجدران و الأثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضعي، و الانتهاء من أمره بالتركيز على مظهره الخارجي و صفاته الملموسة مباشرة، لأن هذه الرؤية ستنهي على الأرجح بالإجهاز على الدلالة الكامنة فيه و نفرغه من كل محتوى "[99] .

ب- أماكن الإقامة الإجبارية :

السجن : إن التأمل في فضاء السجن بوصفه عاملا مفارقا لعالم الحرية قد شكّل مادة خصبة للروائيين في التحليل، و إصدار الانطباعات التي تؤدي إلى فهم الوظيفة الدلالية التي ينهض بها السجن .[100]

---

[98] : حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي بيروت الطبعة الاولى 1990 .ص 30 .

[99] : حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،مرجع نفسه، ص 43 .

[100] : حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ص 55 .

و هذا الأخير يشكل نقطة تحول في سير أحداث القصّة بالانتقال من الخارج إلى الداخل من عالم الحرية و الاستقلالية إلى عالم الذات المقهورة المحصورة فبمجرد ما تطأ أقدام السجين عتبة السجن تطبّق عليه إجراءات دلالية مباشرة بعد دخوله إذ أنه يجرده من هويته الخاصة فيستبدل اسمه برقم و بدلة موحّدة بين المساجين بالإضافة إلى إقفال الأبواب و النوافذ فالمفتاح هو عنوان السجن، انه الحد الفاصل بين الداخل و الخارج " عالم السجن عالم أخر تنقلب فيه القيم و تتغير أوضاع النفس، و يستجيب الجسد لانفعالات جديدة تفرضها عليه أربعة جدران، تنعدم إرادة السجن في أن يجعل منها ثلاثة "[101]

ج- أماكن الانتقال:

الأحياء: يقوم فضاء الأحياء و الشوارع كمكان انتقال و تحركات الشخصيات و تشكّل مسرحا لغدوّها و رواحها [102].

- فضاء المقهى : إنه مكان خصوصي تنغمس فيه الشّخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية و ماتعانيه من ضياع و تهميش يلازمها طوال الوقت، فهي مؤشّر ذو طابع سلبي في معظم الأحيان " هي مسرح للعديد من الممارسات المنحرفة سواء كانت قمارا أو تجارة مخدرات ....و محطة لتناقل الشائعات " [103]

نعاين في نص المدونة الروائية تواتر أنماط فضائية معينة و يتجلى ذلك عبر مجموعة من الثنائيات الضدية ،الداخل / الخارج، الأليف / الغريب، الهنا /الهناك، الخاص /العام .

---

[1]: حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي ،مصدر سابق،ط1،ص 60.

[2] : المصدر نفسه، ص:82.

[103]:المصدر نفسه ،ص 91 .

الفضاء الخاص / الفضاء العام :

البيت المستقل / البيت العائلي.

ورد في الرواية البيت الخاص مقابل للبيت العائلي، حيث اتّخذ سي الطاهر الهيامي بيتا مستقلا به أثناء تواجده بالجزائر العاصمة، فقد عاش أثناء الحقبة الاستعمارية في غرفة صغيرة قريبة من منزل ‹ كلود› المعمّر الفرنسي الذي كان يعمل عنده في المزرعة " فكانت ليلتي الأولى في مزرعة كلود حيث رحب بي و إعطاني غرفة غير بعيدة عن مقر بيته "[104]

و بعد مجيء الاستقلال أخذ بيتا خاصا به و هو عبارة عن شقة استقر فيها مع زوجته، كان هذا البيت يسكنه الصمت و الهدوء لان هذين الزوجين لم يرزقا بأولاد يكسرون هذا الصمت "...لو يرزقني اللهبولد أو بنت يزيح الصمت الجنائزي الذي ألفناه في البيت و عشش في زواياه"[105].

بعد وفاة زوجة سي الطاهر انتهى به المطاف في غرفة ضيقة بائسة في نزل آيل للسقوط، بعد تنازله لابن أخيه عن شقته " وجدت نفسي في النزل بعدما تنازلت عن شقتي بسعر رمزي لابن خالي الدكتور الجراح الذي انهي مشوار دراسي طويل بفرنسا"[106]، و على سرير رث يجلس سي الطاهر، و تزين هذه الغرفة لوحة معلقة على جدار اخضر اللون بها منظر خلاب للطبيعة الساحرة "[107] فكانت بمثابة الذاكرة و الحلم " صورة من صور ذاكرة سي الطاهر التي احتفت بأيام الصبا ..."[108]

كما إن لهذه الغرفة نافذة مطلة على الشارع فكان سي الطاهر ينظر من خلالها على الشارع المخيف متحسسا أوجاعه التي أل إليها جسده النحيف المتكبّد لجميع أنواع العلل و كذلك أوجاع الوطن .

---

[104]: مصطفى ولد يوسف،أوجاع الخريف، المصدر نفسه، ص 32 .

[105]: المصدر نفسه، ص 55 .

[3]: المصدر نفسه ، ص 105 .

ثقُلت على سي الطاهر الوحدة فعمد إلى مشاهدة التلفاز الذي زاده انقباضا و حزنا [109] و قراءة الكتب و المجلات و الجرائد و لكن كل هذا لم يزل تلك الوحدة القاتلة، ثم عرض على جارته في النزل زبدية أن يسرد لها قصة حياته فقد كان ليله طويل " رغم ذلك أصغي إلي أرجوك، أرجوك، فاللّيل طويل عليّا "[110] " ... ثم التفتت زبيدة إلى الدفتر الموضوع على جانب السرير فهمّت بأخذه

- ما هذا ؟!
- قصة حياتي .
- إذا فيها أسرار ...أليس كذلك ؟
- بلى يا ابنتي ، بلى ، و سأحكيها بالتفصيل، فأصغي جيّدا لعجوز حقير ."[111]

البيت الخاص في الرواية نقيضا لمؤسّسة البيت العائلي الذي تربّى فيه سي الطاهر و عاش فيه طفولته بحلوها و مرّها، فوالده كان قاسيا عليه فيحثّه على العمل بدل التجوال في القرية بلا أي هدف، فقد كان ينظر إليه و كأنه آلة تنتج النقود، فحين إيجاد سي الطاهر لعمل أصبح

همّ والده المال الذي يحمله، فلا يهمّه شيء سوى ذلك المال " أهلا هذه المرة تأخرت، و مصاريف العيش شحيحة في هذه الأيام السوداء ، فالأرض أجدبت حتى أنني بعت خروفا لأشتري شعيرا و قمحا."[112] كما يقول عنه كذلك " إنه لا يشبع، كلما رآني يشكو لي من قلّة المال، و كثرة الأفواه التي لابد من إطعامها ، فلم يفكّر قط بمستقبلي ما يهمّه المال الذي أحمله " [113] لم يهتم هذا الولد أبدا بمشاعر ابنه، ففي إحدى الأيّام شبه ولده بالحمار لأن الضابط الفرنسي أمره في بذلك " من الآن فصاعدا تسميه بأسماء إفراد أسرتك يا أبله .

حسنا، حسنا، اسمّيه " طاهر، طاهر. أعدك سيدي ، أعدك ..."[114] .

2- <u>الفضاء الداخل / الفضاء الخارج</u> :

---

[1]: المصدر نفسه ص 05 .
[2]: المصدر نفسه ص 09 .
[3] : المصدر نفسه ص 09 .
[112] : المصدر نفسه ص 40 .
[113] : المصدر نفسه ص 40 .
[114] : المصدر نفسه ص 19 .

يشكل الداخل و الخارج انقساما جدليا ، لهذا الجدل حدة النعم والتي تحسم كل شيء و إذا لم نأخذ حذرنا فإنها ستصبح أساسا للصور التي التي تتحكم في كل أفكار الايجابي و السلبي[115]

- **السجن :** أورد السجن في رواية أوجاع الخريف على انه المكان المغلق و قد دخله سي الطاهر بعد الاستقلال إثناء عمله في هيئة استشارية في البلدة، ففضاء السجن هذا يدل كذلك على انه المكان الذي يسجن كل معارض للسلطة، ففي إحدى الجلاسات المغلقة اجتمع سي الطاهر برئيس البلدية فراح يحدد منافع الديموقراطية و ضرورة تعدد الأحزاب [116] و في المساء وجد نفسه في السجن بتهمة انه " معارض سياسي " [117] فعند استجابة قيل له " تريد إن نزعزع البلاد التي التي لم يندمل بعد جرحها الغائر "[118] سي الطاهر الذي شارك في الثورة التحريرية و حارب المستعمر و احتمل كل مظاهر احتقار ابان الحقبة الاستعمارية يتهم هذا الاتهام ، و هذا دليل على إن وضع البلاد لم يكن على ما يرام ، فلم يكن يسمح لأي احد إن يتحدث في السياسة إذ إن السياسة السائدة بعد الاستقلال هي الاشتراكية و من يتحدث عن الديمقراطية يتهم بأنه إما لبيرالي أو معارض سياسي يريد زعزعة البلاد و العبث بأنظمتها .

أطلق سراح سي الطاهر بعد شهر من حبسه بفضل صديقه و قد قال"... الشعب في أمس الحاجة إلى قائد موحد لانتشاله من الدمار الذي فيه، و ليس إلى تعددية حزبية، فالثورة نجحت بفضل وحدة الصف، فكثرة الآراء تفسد القضية "[119]

إن فضاء الداخل يفترض بالضرورة فضاء خارجيا، يبرز ذلك من خلال توتر أمكنة معينة في الرواية نستعرضها فيما يلي :

أ- <u>المقهى</u> :

---

[115] : غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا، مصدر سابق، ص 191 .

[2، 3، 4] : مصطفى ولد يوسف، اوجاع الخريف، مصدر سابق، ص 65 .

[5] : المصدر نفسه ص 66.

يرى البعض إن المقهى بحد ذاته هو كرسي لتأمل الشارع، و يرى البعض الأخر انه من الأمكنة التي تملك خصوصيات تجعلها مادة مهمة في الرواية بشكل عام [120].

يعتبر المقهى مكان مفتوحا يتميز بنوعية مرتاديه، فنجد مقهى النخبة المثقفة و مقاهي أخرى ترتادها عامة الناس ، و نلاحظ حسب ما جاء في روايتنا هذه انها تناولت المقاهي التي يرتادها عامة الناس و من ذلك المقهى الشعبي الذي جاء إليه سي الطاهر عند تعبه من المشي عند وصوله إلى الجزائر العاصمة، فقد كان مكتظا على أخره " دخلت مقهى شعبيا فاغر الثغر إمام الاكتظاظ الذي فيها ... أخذت مكاني بصعوبة"[121] فقد جاء – في هذه الرواية – أثناء الحقبة الاستعمارية مؤشرا على البؤس الإجتماعي و على العطالة، ففي هذه المقاهي كثرت السرقة و الجريمة لأن معظم الناس بلا عمل و لا يجدون قوت يومهم أو ما يطعمون به أطفالهم " إنها مقهى اللصوص و محترفي الجريمة " [122]

- بينما يحيلنا المقهى بعد الإستقلال على أنه وسيلة للتخلص من مشاغل و متاعب يوم شاق، فقد كان مقهى " الأنوار "بالجزائر العاصمة المقهى المفضل لسي الطاهر، حيث كان يجتمع فيه رفقة أصدقائه فيحكي عن همومه و يطرد كل مآسي الأيام و كذلك مشاكل البيت " و كل خميس ألتقي بأحبابي في المقهى نفسها التي احتضنتني منذ عقدين ... "[123]

ب- <u>المكتبة</u>: تعتبر فضاء ثقافيا بامتياز، و في رواية أوجاع الخريف جاءت على أنها مكان للفسحة و الترويح عن النفس، حيث إن سي الطاهر فضل المكتبة الولائية بعد تقاعده من العمل بدلا من الجلوس في البيت بلا أي عمل، فأراد من خلالها قتل الوقت، و تمضية وقت فراغه في شيء مفيد، و ذلك بمطالعته لمختلف أنواع الكتب لتوسيع رصيده، الثقافي، فقد وفرت له المكتبة الراحة و الهدوء كما وفرت له جوا معرفيا خالصا، فكأنها موسوعة عالمية أو قرية صغيرة تحوي بين رفوفها كل ثقافات و تاريخ الشعوب و كذلك جديد الإختراعات و الاكتشافات العلمية " ...و من فكرة إلى أخرى اعبر ذاتي بحثا عن حل ينتشلني من عالة قتل الوقت، و من الأفكار التي انهالت علي دفعة واحدة اخترت وحدة .

- سوف أسجّل نفسي في مكتبة الولاية .

---

120 صالح ابراهيم، و الفضاء و لغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، مصدر سابق، ص:32.
121 مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، مصدر سابق، ص:31.
122 مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، مصدر سابق، ص:31.
123 المصدر نفسه، ص:104.

- لحظتها أحسست بعودة الأمل ليدب في عروقي ..."[124]

- فالمكتبة بهذا تؤدّي دورا في ترقية المجتمع و تطوّره ثقافيا و حضاريا .

كما نجد في الرواية فضاء ثقافي آخر و هو قاعة السّينما حيث يعرض فيها جديد الأفلام و أشهرها، و قد وردت في الرواية على أنها قاعة قيم فيها اجتماع جماهيري حول إثراء الميثاق الوطني، حضره سي الطاهر رفقة صديقه عبد الوهاب " وجدت صعوبة جمّة في جرّه إلى قاعة السينما ..."[125] ، و قد ضنّا أنه سيعرض الفيلم الهندي الجديد " أيعرض الفيلم الجديد الهندي هذا اليوم ؟.

كلا و إنما نحضر اجتماعا جماهيريا حول إثراء الميثاق الوطني "[126] ، " جلسنا و ما هي إلا لحظات حتى عم الصمت ليفتح المجال لمسؤول هام في الحزب ببدلته الفاخرة و ربطة العنق الطريفة يأخذ الكلمة ..."[127] كان موضوع هذه المحاظرة حول التعليم و التربية و اكتظاظ الأقسام في المدارس مما يصعب من أداء مهمته " ...إعادة النظر في مفهوم ديمقراطية التعليم ، فالأقسام مكتظة و لا يمكن إن تؤدي وظيفتها المقدسة على أحسن ما يرام في قسم فيه خمسون تلميذ "[128] من المعارك الأسطورية إذ سادت فيه أعمال الشغب و العنف و التخريب من عمليات تفجيرية انتحارية، فجمال الشاب المهذب الخلوق ابن عبد الوهاب الذي كان يدير مصنع أبيه اتّهم بأنه مدير العماليات الانفجارية التي راح ضحيتها أناس أبرياء " صورة الأجساد الممزقة و بقع الدم عشّشت في ذهني ..."[129] فأصبحت المدينة غير آمنة لا تبعث بالهدوء و الاستقرار " فالعاصمة أضحت ساحة معركة حقيقية "[130] .

" قلت لك المدينة غير آمنة، أريد أن أموت بمسقط رأسي بين أهلي و أحبابي "[131] و قد تعدى هذا حدود الشارع و طال الصحف اليومية و الاجتماعات الرسمية " ففي الصحف و المابر يشتد يوما بعد يوم العنف اللّفضي "[132]

---

[124] : مصطفى ولد يوسف اوجاع الخريف ص 85 .
[125] : المصدر نفسه ص 74 .
[126] : المصدر نفسه ص 74 .
[127] : المصدر نفسه ص 74 .
[128] : المصدر نفسه ص 75 .
[129] : المصدر نفسه ص 109 .
[130] : المصدر نفسه ص 97 .
[131] : المصدر نفسه ص 97 .
[132] : المصدر نفسه ص 105 .

أما قبل هذه الأحداث فقد كان شاعرا هادئا يبعث بالراحة و الطمأنينة إلا أنه سادت فيه البطالة و التسكع و هذا ناجم عن قلة فرص العمل " ذلك المتهور يكتوي بنار البطالة "[133]. كما كثرت فيه الثرثرة و إثارة الشائعات و ترويجها بين الناس، و كذا الحديث عما يجري في الوطن من تطورات و مستجدات و إخبار الساعة " كان حديث الشارع و في المقاهي أسعار النفط التي هوت إلى الحضيض و هوى معه شعار " من أجل حياة أفضل "[134]

3- <u>الفضاء الغريب / الفضاء الأليف</u> :

القرية : ترتبط علاقة البطل بالفضاء في رواية أوجاع الخريف ما قبل استقرار الجزائر و ما بعده، و هذا يبرز في فضاء القرية كعلامة فارقة تحيل إلى فضاء الألفة في فترة طفولة سي الطاهر الهيامي بطل الرواية ويؤشر على فضاء الغرابة في فترة اخرى من حياته و يتجلى هذا في أخر الرواية، "إذ لم تعد القرية ذلك المكان الهادئ فالعراك السياسي وصل إلى أوجه، و الموضوعات المطروحة التي كانت محظورة أصبحت موضة في مجالس القرية " [135]

فقد كانت القرية في طفولته مسرحا لحب الحياة و اللعب و المرح و الصور الجميلة .

فلقد أنحفر بيت الطفولة في ذاكرة سي الطاهر " فمان يقترب من اللوحة التي تزين غرفته حتى يتذكر أيام الطفولة و الشباب " كان لي منزل وسط هذه الطبيعة أيام كنت حالما و يافعا "[136] ، و كما يتذكر أمه التي في كل زيارة على أحر من الجمر " ككل زيارة تستقبلني أمي بعينيها المغروقتين بالعبارات فياهتز فؤادي و من ثم أتجلد إمام أبي لكي لا يقول إني ضعيف "[137] .

---

[133] : المصدر نفسه ص 73.
[134] : المصدر نفسه ص 106 .
[135] : المصدر نفسه ص 106 .
[136] " مصطفى ولد يوسف اوجاع الخريف ص 05 .
[137] :المصدر نفسه ص 40 .

سي الطاهر كان يتذكرها عند ذهابه إلى الحقل و هو يرعى الخروف و العنزة آلتان اشتراهما ليتسلى بهما [138] ، حادثة وقعت له و مازالت حية في خلدي [139]، حين يجيئ دوره ليقود قطيع الخرفان إلى الحقل و عند وصوله اختار شجرة يتظلل بأوراقها [140] كان يحمل بين يديه عصا بمثابة سلاح في مواجهة دخلاء المكان ، فشعر بالنعاس فاستسلم للنوم ، و عند استيقاظه وجد إن الخرفان ناقصة، فانطلق للبحث عنها فوالده يعد خرفانه كل مساء مرتين ، فراح يجوب الحقل عنه و الأمل في العثور عليه بدا يتضاءل فقرر العودة إلى البيت من دون الخروف ، و عند وصوله إلى البيت قال له ، أيها الشقي لقد ضاع منك الخروف و لم تدري – عد إلى الحقل و ابحث عنه حالا ."[141]

فعاد إلى الحقل و الظلام الدامس يغزو المكان فوجده عند عمه عمر " عادت الطمئنينة إلى قلبي فاندفعت نحوه مقبلا الخروف و شاكرا عمي عمر ، ثم انطلقت عائدا إلى البيت "[142] .

و عند عمل سي الطاهر عند المعمر الفرنسي "كلود" إثناء الحقبة الاستعمارية شاهد أشياء جديدة، و رأى جميع أنواع الظلم كان هو المفضل لدى المعمر الفرنسي فكان يعزمه إلى الحفالات التي يقيمها في المزرعة و يعرفه بأصدقائه ويدعوه إلى الشراب ...و سي الطاهر يشرب لكي ينسى همومه و ما يشاهده من ظلم و استغلال فلم يكن يستطيع الكلام لأنه كان عضوا في لجان الثورة التحريرية و لو دافع على المظلومين لفقد ثقة " كلود" و رفقائه الفرنسيين .

---

[138] : المصدر نفسه ص 102 .
[139] : المصدر نفسه ص 102 .
[140] : المصدر نفسه ص 102 .
[141] : المصدر نفسه ص 103 .
[142] : المصدر نفسه ص 103 .

4- فضاء " الهنا" و فضاء الهناك":

الجزائر/فرنسا

- اختلفت موقع الذات الساردة في الرواية حسب اختلاف الأمكنة التي يحيل إليها ظرف المكان " الهناك" ، و إن استعمال " الهناك " يفرض في الوقت نفسه وجود " الهنا "، ففي روايتنا هذه يحيل فضاء "الهناك" إلى فرنسا و بالضبط معسكر لالزاز أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ أن السلطات الفرنسية أصدرت قرار بموجبه التجنيد الإجباري للشباب الجزائري و ذلك للمشاركة مع الجيوش الفرنسية في حربها ضد الألمان و كان بطل الرواية سي الطاهر الهيامي من بين هؤلاء الشباب الواردة أسماءهم ضمن القوائم ،" ألم تسمع عن التجنيد الإجباري، فهو في القائمة، و عليك أن تخبره بذلك ، ليلتحق فورا بهذه الفصيلة..."[143]

أبوه رذخ للأمر الواقع و طلب من ابنه أن يذهب إلى المركز، عكس والدته التي لم تشأ لوالدها الذهاب لتلك الحرب لأنه لا يعرف مصير المشاركة فيها إن كان سيعود أم لا، فطلبت من زوجها أن يفعل ما بوسعه لكي لا يذهب سي الطاهر ، " بع الحمار و البقرة، و قدم رشوة لسي سليمان يرضى بها فيعفي ابننا من التجنيد..." [144]

- سي الطاهر فور الذهاب إلى هذه الحرب و ذلك لأنه كان يشعر بالاختناق في قريته و أراد رؤية العالم و إن كان خرابا، " و إنما الخروج إلى العالم لأتنفس ألوانا أخرى، و أعيش أحلاما جديدة ، حتى لو كانت الحقيقة كوابيس مفزعة و مزعجة"[145] ، والدته لم تستطع حبس دموعها لفراق ولدها " أمسكت بي و دموعها تحفر أخاديد في وجهها الدائري."[146]

- عاش في الجبهة كل مظاهر الظلم و البؤس و الحرمان فقد كان الفرنسيون في المعارك يدفعون بهم إلى الأمام و هم يبقون في الخلف " أما جبهات القتال فنحن دائما في المقدمة فكثر موتانا و قل موتاهم."[147]

---

143 المصدر نفسه، ص:19.
144 المصدر نفسه، ص:20.
145 المصدر نفسه، ص:21.
146 المصدر نفسه ، ص: 21.
147 المصدر نفسه،صك22.

تعلم في هذا المعسكر أشياء جديدة و اكتشف حاجات لم يعهدها من قبل، و كل ذلك بفضل صديقه سعيد البجاوي الذي سرد له كيف دخلت فرنسا إلى الجزائر، و كذلك بفضل الألمان حين ألقي عليه القبض في معسكر " سجال " فطلبوا منهم أن يطلعهم على مواقع القنوات الفرنسية لكنه لم يستطع و ذلك من أجل رفاقه الذين ليست لهم أية صلة بهذه الحرب، و يحضر فضاء " الهنا " في فضاء " الهناك " عبر حضور سلمى بنت القايد سليمان القهواجي في مخيلة أو من خلال استحضار سي الطاهر لصورتها و هو في المعسكر " و إن كانت سلمى مسكنا يؤنسني في بلاد ولد فيها الشتاء القارس في ليالي الوحدة و الخوف"[148] ، فمن خلال هذه المدة التي قضاها في المعسكر كانت سلمى البيت الذي يحميه من شتاء البرد القارس في بلاد الغربة، " فالسنوات التي قضيتها في الجبهة لم تمحي صورتها التي بقيت في قلبي"[149] و سلمى هي الحب، الحلم و الوطن.

نجد في الرواية إشارة المجتمع الفرنسي و حضارة هذا البلد و تطوره و ذلك من طرف لحلو الذي كان مغتربا في هذا البلد " فرنسا بلد الحرية و لا بد أن تكون حرا لتعيش فيها" [150] أما عن نظرتهم إلى المجتمع العربي و بالأخص الجزائريون فهم متخلفين و لا يعرفون أي شيء عن الحضارة رغم الاستعمار و سعيه إلى تخليصهم من قيود الدين، اللغة و التاريخ " لازلتم متخلفين، على الرغم من سعينا لتحضيركم باستعماركم لا تعرفون أبسط قواعد التحضر..."[151]

---

[148] المصدر نفسه ، ص:20.
[149] المصدر نفسه، ص: 26.
[150] المصدر نفسه: ص:15.
[151] المصدر نفسه، ص: 16.

بفضل تقنية " الهناك" تمكنت الذات السّاردة من تحديد موقعها في النص، و حقّقت من خلال ذلك نوعا من الاقتصاد الخطابي و أثرت معطيات السرد، و قد أدى استعمال هذا الظرف المكاني في المتن وظيفة مرجعية و إيحائية دلالية، و سمح بتواصل الخطاب و ساهم جانبه الدلالي بالخصوص في إضافة المعلومات التي سمحت للمتكلم بقول أكبر و و جنّبته في الوقت نفسه الشروح المستفيضة.[152]

إن فضاء " الهناك " قد يخترق فضاء " الهنا " ليلبي حاجات البطل النفسية العاطفية و الذهنية الثقافية، لا سيما الفضاءات المتعلقة التي يسود فيها الكبت و الحرمان.

إن سي الطاهر في روايتنا هذه يستسلم إلى حلم اليقظة، فبعد سماعه نبأ زواج " سلمى " من " لحلو " فقد طار عقله من رأسه و أصبح كالمجنون الذي لا يعرف وجهته، فقد قصد التلة خيل إليه أنه يرى " سلمى " و يتحدث إليها و هو يلومها لأنها تزوجت غيره " و أنا في تلتي أراقب سلمى، فجلست في مكاني المعتاد كالأبله.."[153]

و في قوله " مرت و تخيل إلي أنها رفعت عينيها الواسعتين نحوي، و راحت تكلمني بالإشارات و أكلمها بالتأوهات"[154]

" ثم تركت التلة إلى غير رجعة مسلما حياتي إلى القدر..."[155]

فمن بعد ذلك اليوم لم يجلس سي الطاهر تلك التلّة فقد اعتبرها الشاهد الوحيد على حبه المجنون لسلمى التي ملكت قلبه و فؤاده.

---

[152] Gréoire Breault, labas ou le paradoxe d'un déictique spatial, incohérence et discours pups, 2002,p219,228

[153] مصطفى ولد يوسف ، أوجاع الخريف، ص:26.

[154] المصدر نفسه ، ص:26.

[155] المصدر نفسه ، ص:26

خاتمة:

إن دراسة الفضاء في المتن الروائي ليس بالأمر اليسير ،إذ نحن بصدد فضاء لغوي لايمكن تلمّسه إلا من خلال بنائه قراءة تحليلية فالفضاء هو مجموعة فضاءات،وكل قارئ له فضاؤه الخاص.

تبيّن لنا من خلال تأطير المصطلح أن الفضاء عنصر موزّع في ثنايا النص مما يصعب علينا عزله عن النص وذلك سبب صعوبة البحث فيه ،وكذلك عجز الدراسات من وضع نظرية لمعالجة االفضاء إلى يومنا هذا وتوضّح لنا من خلال الفصل الأول والثاني والثالث،أن تركيز الدراسة على عنصر الفضاء الروائي كفيلة بالكشف عن البنية العميقة للنّص بحكم أنه لا يقيم فقط على السطح ، ومن خلال هذا يمكن القول أن الفضاء هو النص في حد ذاته.

-ولقد باشرنا دراستنا التطبيقية للفضاء من تحديد العلامات البارزة على السطح.وقمنا بتقديم قراءات تحليلية لتلك العلامات الفضائية الموجودة في الرواية في سياقها التاريخي و الاجتماعي، وبعد ذلك قمنا باستنباط الأنماط الفضائية المتواترة في نص الرواية.

لفت انتباهنا في بحثنا هذا أن بطل هذه الرواية هو سي الطاهر الهيامي الذي سرد لنا قصة حياته من أيام الصبا والشباب إلى أن أصبح شيخا عليلا ووحيدا كما أكدت لنا الدراسة التطبيقية على أهمية معالجة الفضاء كعامل سردي للكشف عن التحولات الدلالية للنص وتمفصلاته السردية،كما أننا حددنا من خلال الفضاء الشخصيات ومجال تحركاتها ودوافع قلقها ورحيلها ويأسها،ونلاحظ أنه كان متحكما في مصير الشخصيات الأكثر بروزا في الرواية فإن كان الفضاء السياسي لمرحلة ما قبل استقلال الجزائر قد منح لسي الطاهر البطولة والعزة والمجد،إلا أنه ما بعد الاستقلال،حكم عليه بالانكسار والخيبة الذي إلى ما إلى عليه الوضع الاجتماعي والسياسي للجزائر الحبيبة الذي ضحى من أجلها أناس فضلوا الموت والاستشهاد على أن يعيشوا تحت سيطرة استعمار غاصب،

فالقيم النضالية والثورية زالت وحلت محلها قيم أخرى،وقد ثمنت الرواية الفضاء الثوري والنضالي في الجزائر،كما أكّدت على سلبية الواقع السلبي الذي أفرزه الاستقلال.

- حضر الفضاء في روايتنا هذه من خلال أنماط تضادية تقابلية، فضاء القرية والمدينة قبل الاستقلال وبعده الفضاء الداخل/الفضاء الخارج، الفضاء الخاص/ الفضاء العام ، الفضاء الأليف/الفضاء الغريب،فضاء الهنا/فضاء ألهناك.

كما حضر الفضاء السردي من خلال الجسد والمدينة والوطن،كعلامات فضائية بارزة في الرواية ومن خلال ارتباطها أيضا بموضوع الجسد والتاريخ والمجتمع.

خلاصة القول أن الرواية قد سلطت الضوء على الواقع الاجتماعي والسياسي المعقد للوطن.

ملخص رواية أوجاع الخريف[156]:

أوجاع الخريف هي عبارة عن مسيرة حياة نسيخ بسيط تكبد جسمه المرض و قهر الحياة، و هذا الأخير يدعى " سي الطاهر الهيامي " الذي ولد في قرية " آث سليمان " في ضواحي تيزي وزو، إذ ترعرع و تعلم فيها أصول القراءة و الكتابة، و قد قسمنا روايتنا هذه إلى مراحل و أقسام ليسهل علينا تقديمها و عرضها في أسلوب شيق وسيط.

- المرحلة الأولى: تبدأ برصد حياة سي الطاهر في قريته " آث سليمان "وعن مغامراته فيها، وكذا قصة حبه الأول مع سلمى بنت القايد سي سليمان القهواجي، أما المرحلة الثانية من روايتنا فتتحدث عن تجنيد " سي الطاهر الهيامي " في صفوف الجيش الفرنسي، و هذا أثناء الحرب العالمية الثانية، فقص لنا الراوي ما كان يعانيه هو ورفاقه في ذلك المعسكر، كما اكتشف سي الطاهر أن قريته ليست سوى منطقة من بلد اسمه الجزائر، و أن فرنسا استعمرت هذا الاخير، و سلبته حريته و ثروته و كرامته ،أما المرحلة الثالثة – أي بعد الحرب العالمية الثانية – فالراوي قد انتقل إلى الحديث عن عودة سي الطاهر إلى قريته و كذا الظروف التي كان يعيشها هذا الأخير في تلك البيئة المنعزلة التي لا ندرك معنى الحياة المتفتحة ، كما يروي لنا ماعانه بعد زواج سلمى – حبه الأول -، و موت شيخه و معلمه .

و مازاد الطين بلّة هو ما كان يعاينه سكان القرية من اضطهاد المستعمر الغاشم، الذي لم يترك شبرا من أرض الجزائر إلا و دنسه فقرر سي الطاهر الإنتقال إلى العاصمة لعله يحصل على عمل شريف يساعده على تخطي محن الحياة، فعمل لدى معمّر فرنسي، كما انخرط في صفوف الثوار ، و كان هذا بطريقة سرية، فكان بمثابة اليد الخفية التي تساعد الثوار.

- جاء الإستقلال وعمت الفحرحة تراب الوطن، وتعتبر هذه المرحل الرابعة من روايتنا ، إذ تغيرت حياة سي الطاهر،وهذا بتغير الأوضاع السياسية و الإجتماعية، فعمل في مصنع كثر فيه الفساد و الرشوة ، إذ استقر و تزوج من امرأة بسيطة و طيبة، و لكن قضاء الله كان أن لا يرزق بأولاد.

---

156 مصطفى ولد يوسف، أوجاع الخريف، عالم الكتب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2001.

- أما المرحلة الخاصة فترصد لنا تقاعد سي الطاهر من المصنع و عمله كمحاسب عند رفيق له، و كذا وفاة زوجته الذي كان فاجعة على قلبه، لكن حياته استمرت بين البيت و المكتبة و العمل، فانتهى به المطاف في غرفة صغيرة بائسة في نزل آيل للسقوط.

- تأطير المصطلح:

1- توطئة:

ظهر مصطلح فضاء (Espace) في حقل الأدب بفضل الدراسات الشعرية في مقدمتها كتاب شعرية الفضاء (La poétique de l'espace) لغاستون باشلار (Bachlard Gastan)، ثم جاء النقد السيميائي فيما بعد و أضاف نظريات و إجراءات هامة و هذا بانعقاد الملتقى الأول عن سيميائية الفضاء بفرنسا 1973[157].

إن مصطلح فضاء يثير تساءلات متعددة و كثيرة، تتعلق به كلفظ يتغير معناه من حقل معرفي لآخر، وكمفهوم وكاستعمال حيث تحكمه مرجعيات مختلفة تنتج بالضّرورة عن تصورات و مقاربات متنوعة[158] و لذى قررنا أن نباشر دراستنا له ضمن الحقل اللغوي و المعجمي، لنساير و نتطرق لدلالته المختلفة و نحدد سياقاته في بعض المعاجم العربية.

2- مفهوم كلمة فضاء (Espace) في المعاجم العربي:

وردت كلمة فضاء في لسان العرب لابن منظور بمعنى الحيز فنقول فضى المكان و أفضى إذا اتّسع، و أفضى من مكان إلى مكان أي وصل إليه، و أصله أنه صار في وجهته و فضائه و حيّزه[159].

حيث أن الحيّز هو مكان محدّد معلّم بحدود معينة، أي بمعنى ناحية من مكان ، من فضاء.

قيل: الحوز و الحيّز السوق اللّين – حوّز الإبل،ساقها إلى الماء.

و حوز الدار و حيّزها ما انضم إليها من المرافق و المنافع، و كل ناحية على حدة حيز بتشديد الياء.

---

157 مسعودة لعريط، الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، معهد الآداب ، الجزائر، 2008-2009.

158 المرجع نفسه، ص:15.

159 ابن منظور، لسان العرب ، مادة حوز ،دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 2004، ص:266.

و الحيّز: تخفيف الحيّز مثل ليْن و ليِّن، و الجمع أحياز « قال عبيد بن حر: كنت مع أبي نظرة من الفسطاط إلى الإسكندرية في سفينة ، فلما دفعنا مرسانا أمر سفرته، فقربت و دعانا إلى الغداء و ذلك في رمضان ، فقلت : ما تخيبت علينا منازلنا، فقال أترغب عن سنة النّبي صل الله عليه و سلم؟ فلم نزل مفطرين حتّى بلغنا ما حوزناه قال شمر في قوله ما حوزنا : هو موضعهم الذي أرادوه، و أهل الشّام يسمّون المكان الذي بينهم و بين العدّو و الذي فيه أساميهم و مكاتبهم و قال بعضهم : هو من قولك حزت الشيء إذا أحرزته، قال أبو منصور : لو كان منه لقيل محازنا أو محوزنا، و حزت الارض إذا أعلمتها و أحييت حدودها (....)[160] ».

كما أنشد الفراء:

حمى حوزاته فتركن قفرا و أحمى ما يليه من الإجام

فالحيّز إذن مكان معين بحدود معينة واضحة[161]

و الفضاء: الخالي الفارغ الواسع من الأرض، و في حديث معاذ عن عذاب القبر: ضرب بمرصاف وسط رأسه حتى يفضى كل شيء منه أي يصير فضاء .

و الفضاء: الساحة و ما اتّسع من الأرض ... قال : الصحراء فضاء[162].

قال أبو بكر: الفضاء، ممدود كالحساء و هو ما يجري على وجه الأرض و أخذته قضيته قال الفرزدق:

فصّحت قبل الواردات من القط

ببطحاء ذي قار فضاء مفجّرا[163]

---

160 ابن منظور، لسان العرب، مادة حوز، دار صادر للطباعة و النشر، طبعة جديدة محققة، ، المجلّد الثالث، 2004، ص: 267.

161 ابن منظور، لسلن العرب، مادة حوز، مصدر سابق، ص :341 ، 342 .

162 ابن منظور، لسان العرب، مادة فضا ، المجلّد 1، دار صادر، بيروت ، 2004 ،ص:195 .

163 ابن منظور، لسان العرب ، المرجع نفسه ، ص : 268.

وجاء أيضا أنّ " مكان في أصل تقدير الفعل مفعل " لأنّه موضع لكينونة الشّيء فيه، غير أنّه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال (...) قال ثعلب : « يبطل أن يكون مكان فعالا لأنّ العرب تقول: كن مكانك و اقعد مقعدك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من كان أو موضع منه»[164] ،حيث نلاحظ التباس معنى فضاء بمعنى الزمن ، و هذا ما ورد عند ابن فارس، إذ يقول: الكاف و الواو و النون أصل يدل على الإخبارعن حدوث شيء إما في زمان ماض أو في زمان راهن.

يقولون كان الشيء يكون كونا إذا وقع و حضر ،و قال تعالى: " و إن كان ذو عسرة"[165] [البقرة 280].

و يقولون كان الشّتاء أي جاء و حضر (...) و قال قوم المكان اشتقاقه من كان يكون فلمّا كثُرَ توهّمت الميم أصلية فقيل تمكن، كما قالوا المسكين تمسكن[166].

بينما وردت في الصّحاح[167] و في لسان العرب أيضا بمعنى المكان الواسع من الأرض، حيث نجد أن " فضا: الفضاء: المكان الواسع من الأرض و الفعل فضا يفضوا فضوا هو فاض ، قال رؤية.

أفرخ فيض بيضها المنقاض عنكم كراما بالمقام الفاضي

و قد فضا المكان و افضى إذا اتسع و افض فلان إلى فلان، أي وصل إليه و أوصله بمعنى أنه صار إليه و أوصله بمعنى أنه صار في فرجته و فضائه و حيّزه[168]

---

164 ابن المنظور، لسان العرب، مادة فضا، مرجع سابق،ص:157.

165 ابن فارس، مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة كون، دار الفكر، بيروت، 1979،ص:148.

166 ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع نفسه،ص:148.

167 الجواهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة فضا، ج6، دار العالم للملايين، ص: 2455.

168 ابن منظور، لسان العرب، مادة فضاء، مرجع سابق، ص:157.

- نستخلص مما سبق أن المعنى اللغوي لكلمة فضاء في العربية يفرز ثلاثة مدلولات أساسية:

1- مكان محدّد (حيّز)

2- مكان واسع.

3- تحقق الكينونة في موضع معين، و معنى هذا أن الزمن ركن أساسي لتحقّق الوجود ، و هذا المعنى يقترب من المعنى اللغوي عند الغرب (Espace) .

- كما وردت عدة تعريفات عند بعض العلماء فمثلا " حميد الحميداني " قد سبق النقاد العرب إلى معالجة الفضاء الروائي، عالجه أولا بعنوان " الفضاء الحكائي " و ميّزه عن المكان فأشار إلى أنه أوسع و أشمل.[169]

و يعتبر " الفضاء " ، مصطلحا نقديا حديثا، إذ يمكن اعتبار كتاب "شعرية الفضاء" لغاستون باشلار بداية التأسيس له بوصفه مفهوما نقديا، تحول مع السيميائية، إلى مركز اهتمام السيميائيين الذين نظروا إليه بوصفه مكونا أساسيا للسرد من جهة و بوصفه دالا طبيعيا يحمل مدلولا ثقافيا من جهة ثانية[170]

---

[169] صالح ابراهيم، الفضاء و لغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب،ط1، 2003،ص:7.

[170] أحمد حيدوش، مجلة معارف ، العدد التاسع، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، ديسمبر 2010، البويرة، الجزائر، ديسمبر 2010، ص: 197.

3- مفهوم المكان و الفضاء و العلاقة بينهما:

* مفهوم المكان:

المكان هو الوسط الجغرافي أو الحيز الذي تدور فيه الأحداث و تتحرك فيه الشخصيات و تنمو و تتطور، و تتلقى منه المؤثرات المختلفة، فهو محدد من وجهة النظر الجغرافية كحيّز يمكن أن يدرس من الناحية الهندسية[171]

إلا أن هناك تضاربا بين معنى المكان و الفضاء فنجد مفهوم الفضاء قد ورد بعدة أشكال فهناك من اعتبره مفهوما نقديا حديثا، إذ يمكن اعتبار كتاب " شعرية الفضاء" ل : غاستون باشلار بداية التأسيس له بوصفه مفهوما نقديا ، تحول مع السيميائية ، إلى مركز اهتمام السيميائيين الذين نظروا إليه بوصفه مكونا أساسيا للسرد من جهة و بوصفه دالا طبيعيا يحمل مدلولا ثقافيا من جهة ثانية[172]

و من ثمّ لا بد من دراسة الفضاء في علاقته بالعناصر الأخرى المكونة للسرد كالشخصية و الزمن و الحدث.

* علاقة المكان بالفضاء:

يعد حميد الحميداني أهم ناقد عربي حاول التمييز بين المكان و الفضاء، و يمكن تلخيص رأيه فيمايلي:

1- ضوابط المكان متصلة عادة بلحظات الوصف.

2- لا يمكن الحديث عن مكان واحد في الرواية، بل إن صورة المكان تتنوع حسب زاوية النظر التي يلتقط منها.

3- إن مجموع الأمكنة هو ما يمكن أن نطلق عليه فضاء الرواية لأن الفضاء أشمل و اوسع من معنى المكان.

4- الفضاء هو الذي يلفّ جميع الأمكنة المتجددة في الرواية، فالمقهى و المنزل، أو الشارع، كلها تشكّل الفضاء العام للرواية.

---

171 أحمد حيدوش، مجلة معارف ، العدد التاسع، مرجع سابق، ص:197.

172 المرجع نفسه، ص:198.

5- الفضاء الشمولي، إنه يشير إلى المسرح الروائي بكامله، و المكان يمكن أن يكون متعلقا فقط بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي.[173]

6- إن الحديث عن المكان في الرواية يفترض دائما توقفا زمنيا لسيرورة الحدث، في حين الفضاء يشترط دائما تصور الحركة داخل تلك الأمكنة، أي يفترض الإستمرارية الزمنية.

4- ترجمة المصطلح :

ورد مصطلح " فضاء عند حسن بحراوي [174] ، و حميد لحميداني[175] ، مقابلا لمصطلح Espace) (في اللغة الفرنسية ، فلقد عالجه لحميداني أولا بعنونا " الفضاء الحكائي " و ميزه عن المكان فأشار إلى أنه " أوسع و أشمل "[176] ، كما نجد أيضا الذي غالب هلسا الذي ترجم كتاب « La poétique de l'espace » بجماليات المكان[177] قد استعمل كلمة " مكان " و هذا يعني أن " Espace " بالفرنسية تقابلها كلمة " مكان" في اللغة العربية.

- بينما نرى أن لفظ مكان يقابل لفظ " Lieu " في اللغة الفرنسية ، و هو ليس مراد فالكلمة "Espace" سواء في اللغة الأصلية لهذه الكلمة ، أو كمصطلح شعري عند غاستون باشلار لكننا نجد أن معنى مكان متضمن في معنى فضاء، و نقصد بهذا أن الفضاء أكبر من المكان و أشمل منه، بل إنه ينطوي عليه و يمتلئ به، و إذا كان المكان ينحصر في الإحالة على البعد الجغرافي الحسي، فإن الفضاء يحيل إلى ما هو أبعد من ذلك، ليلامس التخيلي و الذهني، أي الصور و القيم الرمزية[178] .

و على هذا الأساس نعمد إلى تبني مصطلح " فضاء " كمقابل لمفهوم " Espace "، كما عمد بعض الدارسين إلى أن الفضاء الروائي أمثال حميد لحميداني ينشأ عن طريق التحام السرد و الوصف و يشكل مكونا أساسيا في السرد فهو مجموع الأمكنة الموجودة في النص، و السرد في رأي لحميداني يشكل " أداة الحركة الزمنية" أما الوصف فهو " أداة تشكل صورة المكان [179]".

---

173 المرجع نفسه، ص:199.
174 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي، بيروت، 1990، ص: 55.
175 حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1990، ص:63، ص:64.
176 المرجع نفسه،ص:46.
177 غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت،ط6 ، 2006.
178 مسعودة العريض، الفضاء في الرواية النسائية و المغاربية ، مرجع سابق، ص:21.
179 المرجع نفسه،ص:7.

5- أنواع الفضاء:

إن الابحاث المتعلقة بدراسة الفضاء في الحكي تعتبر حديثة العهد، و من الجدير بالذكر أنها لم تتطور بعد لتألف نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائي، مما يؤكد أبحاث لا تزال فعلا في بداية الطريق، ثم إن الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع ،هي عبارة عن اجتهادات متفرقة، لها قيمتها، و يمكنها إذا تراكمت أن تساعد على بناء تصور متكامل حول هذا الموضوع.

إن مختلف الدراسات اسفرت عن أربعة اشكال للفضاء الحكائي.[180]

5-1/ الفضاء الجغرافي (L'espace géographique) : و هو مقابل لمفهوم المكان ، و يتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون[181] و يمكن أن يُدرس في الرواية باستقلالية كاملة عن المضمون ، مثلما يفعل الإختصاصيون في دراسة الفضاء الحضري، فهؤلاء لا يهمّهم من سيسكن هذه البنايات، و من سيسير في هذه الطرق، و لا ما سيحدث فيها، و لكنهم يهمهم فقط أن يدرسوا بنية الفضاء الخالص.

غير أن " جوليا كريستيفا " لما تحدثت عن الفضاء الجغرافي لم تجعله – أبدا - منفصلا عن دلالته الحضارية، فهو إذ يتشكل من خلال العالم القصصي يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له، و التي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم، و هو ما تسميه " اديولوجيم " العصر (Idéologème) و الإيديولوجيم هو الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور و لذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يُدرّس دائما في تناصيته، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما، أو حقبة تاريخية محددة[182].

---

180 د.حميد لحميداني، بنية النص السردي،مرجع سابق، ص:53.

181 المرجع نفسه، ص:62.

182 الرع نفسه، ص:54.

2-5/ الفضاء النصي (L'espace textuel):

و يُقصد به الحيّز الذي تشغله الكتابة ذاتها، - باعتبارها أحرفا طباعية - على مساحة الورق. و يشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، و وضع المطالع، و تنظيم الفصول، و تغيرات الكتابة المطبعية و تشكيل العناوين،و غيرها، و لقد كان اهتمام " ميشال بتور" (M.Buttor) .

بهذا الفضاء كثيرا، و هو لم يحصر اهتمامه في الرواية وحدها، و إنما نظر إلى فضاء النص بالنسبة لأي مؤلف كان، و من الطريق أنه يقدم تعريفا هندسيا خالصا للكتاب إذ يقول :" إن الكتاب ، كما نعهده اليوم، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة، وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر، و غلق الصفحة ".

و البعد الثالث الذي يتحدث عنه هو سمك الكتاب الذي يقاس عادة بعدد الصفحات.

إن الفضاء النصي ليس له ارتباط كبير بمضمون الحكي، و لكنه مع ذلك لا يخلوا من أهمية، إذ أنه يحدد أحيانا طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي أو الحكائي عموما، و قد يوجّه القارئ إلى فهم خاص للعمل[183]

إن الفضاء النصي هو أيضا فضاء مكاني، غير أنه متعلّق فقط بالمكان الذي تتموقع فيه الكتابة الروائية أو الحكائية.

لقد أشار " ميشال بوتور" إلى قيمة التأطير الذي نجده في بعض الروايات داخل صفحة الكتابة كوضع إعلان في مربع صغير يكون قد شاهده البطل على سبيل المثال في جريدة أو على مدخل عمارة،فبتور يشير إلى مجموعة من مظاهر تشكل فضاء النص لا تهم الرواية فقط، بل يمكن مصادفتها في جميع الكتب، أهمها:

---

183 حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص:55-56.

الكتابة الأفقية، الكتابة العمودية – الهوامش- ، الرسوم و الأشكال – الصفحة ضمن الصفحة - ، أنواع الكتابة، الفهارس[184].

5-3/ الفضاء الدلالي (Espace sémantique):

بعد أن تحدث " جيرار جنيت" عن الفضاء الجغرافي الذي يتولد عن القصة في الحكي، نراه يشير إل فضاء من نوع آخر له صلة بالصور المجازية و مالها من أبعاد دلالية، و يشرح طبيعة هذا الفضاء[185].

فالفضاء الدلالي يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي و ما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام[186].

5-4/ الفضاء كمنظور:

عندما تحدثت " جوليا كرستيفا " عما تسميه الفضاء النصي للرواية (L'espace textuel du roman) لم تجعل له نفس دلالة الفضاء النصي الذي كان سائدا من قبل، إذ إنها تحدثت عما يشبه زاوية النظر التي يقدم بها الكاتب أو الراوي عالمه الروائي.

فالفضاء كمنظور: يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح[187].

---

184 د. حميد لحميداني، المرجع نفسه، ص:56.
185 المرجع نفسه، ص:60
186 المرجع نفسه ، ص: 62.
187 المرجع نفسه، ص:62.

6- وظائف الفضاء الروائي :

تعددت و اختلفت وظائف الفضاء الروائي، و لعل أقدم و أول وظيفة هي:

6-1/ الوظيفة التزيينية (Fonction décorative) :

إن زخرفة النص بالصور الفضائية من أقدم الوظائف التقليدية و الأساسية سواء تعلق الأمر بتقديم الفضاء من أجل ذاته أو رمز إلى نفوس الشخوص و مصائرها، أو ساعد على تقديم تفسير لطباعها و أمزجتها على نحو دقيق نسبيا[188]، غير أن هذه الوظيفة تقلص دورها ليصبح تشخيص الفضاء أكبر من مجرد تزيين.

6-1/ الوظيفة السردية (Fonction narrative):

و هي مساهمة الفضاء في إحداث السيولة السردية، بالقدر الذي تحدثه المكونات السردية الأخرى كالشخصية و الحدث و الزمان... و الإشتراك معها و الإندماج فيها إذ إن " أحد المهام الأساسية للفضاء تتمثل في معظم الأحيان في السماح للحدث بالوقوع"[189] ،فالحدث لا يمكن أن يقع إلا داخل إطارفضاء معين، و هذا يجعله نقطة أساسية في السرد، فإذا كتب الكاتب " ذات مساء" أو "ذات يوم" و أضاف إلى ذلك تعينا بالجهة " في هذه المدينة "، أو" في ذلك الشارع"، فإنه يجعل للسرد مرتكزه الإفتتاحي اللازم، و في ذلك تتجلى حاجة السرد إلى المكان ، إن المكان نتاج للسرد كما يسهم بدوره في خلق السرد"[190]

6-3 / الوظيفة الإيهامية (Illisionnaire):

يرى شارل قريفل (Charle Grifel) أن الفضاء يوهم بحقيقة النص، و ذلك بتأكيده على أن ما يحكى داخله هو مجرد تشخيص، فيبدو كأن له علاقة بشيء خارجي، أو هو صورة عنه، أو محاكاة له، غير أن النص لا يحيل في الواقع إلا على نفسه[191] بحيث أن المؤلف يحرص على أن يكون النص تخيليا، ومن ثمّ الوظيفة تؤدي إن توجيه القارئ و تضليله.

---

188 رشيد بن مالك، مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر،2000،ص:36.

189 pour lire le roman ,Bruxelles,du Gulot,1985, p 98. Jean pierre Goldenstein,

190 جنيت و آخرون ، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب،2002،ص:44.

191 المرجع نفسه ، ص: 75-77.

4-6/ الوظيفة الدلالية (Fonction Sémantique) :

يشير جيرار جنيت إلى وجود فضاء دلالي يتأسس بين المدلول المجازي و المدلول الحقيقي[192]، فهو يقدم الفضاء على أنه صورة، و يرى في الوقت نفسه، أن الصورة هي الشكل الذي يتخذه الفضاء ، و بالتالي فإن أي تغيير أو تعدد لها يؤدي إلى تغير المدلولات و تعددها[193].

تكشف الوظائف السابقة عن ارتباط الفضاء بالعناصر السردية الأخرى ، إذ لا يمكن لوجوده أن يتحقق إلا باندماجه و اشتراكه مع الشخصية و الحدث و الزمن، فالفضاء بهذا المعنى لا يعيش منعزلا، بل يدخل في علاقات متعددة مع هذه المكونات النصية من أجل ضمان الحركة السردية الروائية و وحدتها[194]

---

192 جيرار جينت، المرجع نفسه ، ص:81.

193 المرجع نفسه، ص:81.

194 مسعودة لعريط، الفضاء في الرواية النسائية المغاربية، مرجع سابق، ص:39.

❖ **مقدمة 1**
❖ **تمهيد : ملخص الرواية و تأطير المصطلح..... 3**
تأطير المصطلح 4
1- توطئة 4
2- مفهوم المصطلح في المعاجم العربية 4
3- مفهوم المكان و الفضاء و العلاقة بينهما 8
4- ترجمة المصطلح 9
5- أنواع الفضاء الروائي 10
6- وظائف الفضاء الروائي..... 13

❖ **الفصل الاول :**
فضاء المجال
1- فضاء القرية و المدينة 15
2- فضاء القرية و المدينة قبل الاستقلال و بعده 16
2-1 فضاء القرية و المدينة قبل الاستقلال 16
2-2 فضاء القرية و المدينة بعد الاستقلال 21

❖ **الفصل الثاني :**
فضاء الجسد 26
1- الجسد و التاريخ 26
2- الجسد و المجتمع 28
3- وصف الجسد 32
4- لغة الوصف 36

❖ **الفصل الثالث :**
أنماط الفضاء
1- الفضاء الخاص / الفضاء العام 39
2- الفضاء الداخل / الفضاء الخارج 41
3- الفضاء الأليف / الفضاء الغريب 43
4- فضاء الهنا / فضاء الهناك 46

❖ **خاتمة** 51
❖ **فهرس المصادر و المراجع** 53
❖ **فهرس الموضوعات** 55